

الباب الثانى  
الطريق إلى جماعة المسلمين

وفيه أربعة فصول :

الفصل الأول : الأحكام الإسلامية .

الفصل الثانى : خطوة الرسول الأولى فى دعوته ( بناء الجماعة ) .

الفصل الثالث : معالم من سيرة الرسول فى بناء الجماعة .

الفصل الرابع : طبيعة الطريق إلى جماعة المسلمين .



## الفصل الأول الأحكام الإسلامية

### لا تبعض في الأحكام الإسلامية :

١ - عند إهلاله الدعوة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ في مكة المكرمة كانت تنتزل التوجيهات (١) الربانية بحسب حاجة الجماعة إلى تلك التوجيهات وبما تتطلبه المرحلة التي تعيشها الجماعة .

وهذه القاعدة لا تحتاج إلى كثرة أدلة لوضوحها . قال تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) ﴾ [ الإسراء ] .

قال الطبري : ( ونزلناه تنزيلا يقول تعالى ذكره : فرقنا تنزيله ، وأنزلناه شيئا بعد شيء ) (٢) .

وعن ابن عباس ؓ قال : ( أنزلنا القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ) (٣) .

٢ - وتلك القاعدة تختلف اليوم بالنسبة للجماعة الإسلامية في حالة إرادتها السير في طريق إقامة جماعة المسلمين من جديد في حياة الأمة الإسلامية . حيث إن التوجيهات الربانية قد اكتملت والسنة النبوية قد تكاملت وبنيت . وأصبح المسلم أو الجماعة الإسلامية مطالبين بكل هذه التوجيهات الربانية والسنة النبوية كاملة دون تبعض .

ولأن أحكام الإسلامية ترفض تبعض الإسلام، وتحكم على من فعل ذلك بالخسران والخزى في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة . قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) ﴾ [ البقرة ] .

(١) انظر : مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان ص ١٠٥ .

(٢) تفسير الطبري ١٥ / ١٧٩ .

(٣) انظر : الدر المنثور ٤ / ٢٠٥ ، وهو في تفسير الطبري ٥ / ١٧٨ .

إن مسايرة الأنظمة الكافرة والخضوع لها بأخذ ما تسمح به تعاليم الإسلام وترك ما تمنع مزاوله المسلمين له بأى دعوى كانت ، أمر شنيع توعد الله سبحانه وتعالى فاعله بضعف الحياة وضعف الممات والإخراج عن حظيرة الإيمان وملة الإسلام .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴾ (٧٤) إِذَا لَأَذْنُكَ ضِعْفُ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (٧٥) [ الإسراء ] .

قال الطبرى عند هذه الآية : ( يعنى ضعف عذاب الدنيا والآخرة ) (١) .

وقال القرطبي : ( أى لو ركنت لأذْنُكَ مثلى عذاب الحياة فى الدنيا ومثلى عذاب الممات فى الآخرة وهذا غاية الوعيد ) (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ (٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (٧٦) [ محمد ] .

فالأية الكريمة اعتبرت الذين يطيعون الذين كرهوا ما نزل الله ولم يحكموا به ولو فى بعض الأمر مرتدين .

والذى دفعنى لإثارة هذه النقطة أن كثيرا من أفراد المسلمين لا يفعلون ولا يطبقون من تعاليم الإسلام إلا ما يتمشى مع أنظمة البلاد التى يقيمون فيها ، بل بعضهم يقومون بنصرة وتشجيع الابتعاد عن بعض أحكام الدين ؛ لأن السلطة السياسية تمنع فى ذلك ، وكذلك كثير من الجماعات التى تدعو إلى الإسلام فى بلاد العالم الإسلامى فإنها لا يمكن أن تأخذ الصفة الرسمية بالدعوة إلا بعد أن تقدم لائحة عملها الداخلية إلى الجهات المختصة فى الدولة التى تريد العمل فى سلطانها ، ولا بد أن تحتوى تلك اللائحة على ما هو مباح ، وتبتعد عن كل محرم فى نظام تلك الدولة من تعاليم الإسلام ، حتى تحظى بالموافقة عليها ، ولو علم أولئك الأفراد ، أو تلك الجماعات أن فعلهم ذلك يعنى مساعدة حكم الكفر على الاستمرار والبقاء ، وأنهم بفعلهم هذا يقضون على أمهات الأحكام والتعاليم الإسلامية ، لما أقدموا على ذلك ولأدركوا أنهم بعيدون عن روح الدعوة الإسلامية التى ينتمون إليها ، إنهم يهدمون بذلك أحكام الجهاد ونظام الحكم ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتواصى بالحق والصبر عليه .

(١) انظر : الطبرى ١٥ / ١٣١ .

(٢) انظر : القرطبي فى الجامع ١٠ / ٣٠١ .

إن الدول القائمة فى العالم الإسلامى كافة تمنع فى الحكم بما أنزل الله تعالى ، ورفع راية الجهاد ، وتأمّر بالنكر ، وتنهى عن المعروف ، وتقمع من طلب عكس ما تريد ، وإن الذين يسيرون فى ركابها وبحسب ما تريد رغبة فى التعايش السلمى معها مخطؤون ، وعليهم أن يتوبوا ويقلعوا عن الذى هم فيه ويستغفروا الله تعالى :

متى نطبق الأحكام ؟ :

والذى يمكن أن نقرره هنا هو أن الفرد أو الجماعة فى الأمة الإسلامية يمكن أن يأخذ من أحكام الإسلام بحسب ما تقتضيه أحواله ، وموقعه فى الحياة ، وتطوره فيها ، شريطة أن يؤمن ذلك الفرد أو تلك الجماعة بكل أحكام الإسلام ، واستمراريتها ، وأن يظهر ذلك الإيمان من خلال المشاركة الفعالة كل فيما يخصه من أحكام الإسلام .

بمعنى أن الفرد المسلم مثلاً يمر بمرحلة طفولة فعليه أحكام من أحكام الإسلام دون غيرها، وكذا مرحلة الرجولة على الإنسان فيها أحكام إسلامية تختلف باختلاف حالاته ، فقد يكون فيها متزوجاً أو غير متزوج ، فله فى كل حالة أحكام من أحكام الإسلام تخصه دون غيرها ، أو متزوجاً وله أولاد ، أو ليس له أولاد فله أحكام من الإسلام تخصه دون غيرها ، وقد يكون ابناً لوالدين فله أحكام ، وقد يكون صاحب تخصص لا يوجد غيره فى البلاد كأن يكون طبيباً أو عالماً ... فتكون أحكام الإسلام الكفائية بالنسبة له أحكام عينية، إلى آخر أحوال الفرد المسلم ، فهو مطالب بأحكام دون أحكام ، ولكن هناك أحكام إسلامية عامة تلزم كل مكلف من المسلمين مثل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو مبدأ يشمل كل جوانب الحياة . كما جاء فى قوله ﷺ : عن تميم الدارى رضي الله عنه : « الدين النصيحة ( ثلاثاً ) قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١). بل وفى قمتها نصيحة الحاكم وتقويمه كما روى عن جابر رضي الله عنه : « سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله » (٢) .

وكذلك الجماعة الإسلامية بحكم كونها جماعة مطالبة بالأحكام الإسلامية كافة وعلى وجه الخصوص حركة الرسول ﷺ فى مكة المكرمة ، بل التزامها حركة الرسول ﷺ يعنى التزامها بأحكام الإسلام .

(١) أخرجه البخارى ١ / ٥٤ بهذا اللفظ ، ومسلم ١ / ٧٤ ، وينحوه رواه الترمذى ٤ / ٣٢٤ ، وأبو داود ٤ / ٢٨٦ ، والدارمى ٢ / ٣١١ ، وفى مسند أحمد ١ / ٣٥١ ، ٢ / ٢٩٧ ، والنسائى ٧ / ١٥٦ .

(٢) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٣ / ١٩٥ وصححه على شرط الشيخين وذكره الهيمى فى المجمع ٩ / ٣٦٨ مرفوعاً عن ابن عباس .

ولأن سيرة الرسول ﷺ في مكة وما احتوته تعتبر من أحكام الإسلام تطبق في وقتها المناسب على ضوء هديه ﷺ ، ووقتها المناسب كل وقت غابت فيه دولة الإسلام ، وعاد الإسلام غريبا ، ففى مثل هذا الوقت يتوجب أن تكون هناك جماعة تحمل الناس على الإسلام وتقويم دولته ، وعند تأسيس تلك الجماعة من سنة الله أن تمر بمراحل ، هذه المراحل واضحة فى سيرة الرسول ﷺ فى مكة ويتوجب على الدعاة المؤسسين لهذه الجماعة أن يقفوا عند كل مرحلة من مراحل الرسول ﷺ ويستنبطوا منها الأحكام ، ليأخذوا بها فى بناء جماعتهم ، فهى الأحكام المعصومة من الخطأ والنقص والهوى .  
وحينئذ فإن أخذهم بأحكام المرحلة الأولى مثلا وتأجيلهم أحكام باقى المراحل لا يعتبر تبعضا لأحكام الإسلام ، بل اقتداء بالرسول فى سيرته ودعوته المباركة .

وخلاصة هذه النقطة أن الفرد المسلم أو الجماعة المسلمة موقعهما ومرحلتهاما الحياتية هما اللذان يحددان ما يخصهما من الأحكام دون غيرها ، وأنه يتوجب عليهما الإيمان بباقى أحكام الإسلام وأن يستعد كل واحد منهما للعمل بتلك الأحكام .  
**أقسام أحكام الإسلام :**

وبما أن الأحكام الإسلامية تنقسم باعتبار الماهية والكيفية إلى قسمين :

أحدهما : ماهية تلك الأحكام .

ثانيهما : كيفية تنفيذ تلك الأحكام .

فالقائمة والتشهد فى الصلاة مثلا من الماهية وكيفية قراءتها ومكانها فى الصلاة من أحكام الكيفية .

وهذان القسمان ينقسمان باعتبار الفاعل إلى قسمين أيضاً :

أحدهما : أحكام خاصة بالمسلم كفرد فى الأمة الإسلامية .

ثانيهما : أحكام خاصة بالجماعة كجماعة من الأمة الإسلامية .

ونعنى بالجماعة من الأمة الإسلامية الفئة والطائفة التى تحمل الدعوة إلى إقامة جماعة المسلمين كلما جفاها الزمن ، أى الجماعة التى يتحقق هدفها المنشود عندما توجد جماعة المسلمين - حاكم يحكم الأمة بكتاب الله وسنة رسوله - عندما يوجد ذلك الحاكم فلا تعدد فى الإسلام لجماعات أو أحزاب . وعلى اعتبار عدم وجود جماعة المسلمين كما قررنا ذلك فى التمهيد <sup>(١)</sup> على رأس الأمة الإسلامية فى زمننا هذا وعلى اعتبار

(١) انظر : التمهيد من هذا الكتاب ص ١٥ - ٢٤ .  
١٠٢

الطريق إلى إيجاد جماعة المسلمين ، أن توجد جماعة من المسلمين تسعى لهذا الأمر . فإن بحثنا سيلخص بعض الأحكام الخاصة بتلك الفئة - الجماعة من المسلمين - من حيث الكيفية ، من سيرة الرسول ﷺ وهي تسعى ليقم جماعة المسلمين ، التي آل إليها تسير أمور الأمة الإسلامية بعد ذلك ما شاء الله لها ذلك ، وهي الأحكام التي يجب أن تأخذ بها كل الجماعات التي تعمل اليوم لإعادة جماعة المسلمين إلى الأمة الإسلامية من حيث المرحلة في الخطة ، مع ملاحظة التزام الجماعة مع أفرادها بأحكام الإسلام كلها ، والجماعة كجماعة، والأفراد كأفراد، كل بحسب موقعه من هذه الحياة. كما تقرر آنفاً (١) .

وحصر الكتابة في جانب الكيفية دون الماهية من الأحكام الإسلامية في بناء الجماعة الإسلامية .

١ - لأن ماهية أحكام الإسلام في هذا المجال معلومة من قبل كثير من دعاة الإسلام ، ولكن كيفية التطبيق مجهولة لأكثرهم ، فطلاب العلم مثلاً يعلمون أن هناك داراً في سيرة الرسول ﷺ تسمى دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ولكن قليلاً منهم من يعلم مكانة هذه الدار في بناء الجماعة ، وتربية أفرادها ، وأنها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة .

٢ - ولأن جل أحكام الإسلام عموماً ماهية وكيفاً متعلق بوجود دولة إسلامية تقيمها ، وتنفذها ، فالكتابة فيها مع عدم وجود الذي سيقمها نوع من العبث وضياح الوقت .

٣ - ولأن ماهية الأحكام في هذه المرحلة تقررها قيادة الجماعة بحسب مستويات أفرادها ، ونوعية حاجتهم منها ، وبحسب ترتيبها من حيث الأهمية ، كأن يكون في الجماعة أفراد درسوا في بلاد ليس في مناهجها مواد دينية ، فهؤلاء يحتاجون إلى منهج مكثف في المواد الدينية ، وأفراد في مؤسسات دينية بعيدة عن الفكر المعاصر ، فهم يحتاجون إلى منهج ثقافي مكثف في هذه الناحية ليسد عندهم جانب النقص وهكذا .

٤ - ولأن الكيفية في بناء الجماعة الإسلامية لم يكتب فيها إلا القليل (٢) وفي الأيام المتأخرة ، خاصة في تعاليم سيرة الرسول ﷺ في بناء الجماعة لعدم الحاجة إليها

(١) انظر : ص ٩٥ من هذا الكتاب .

(٢) مثل الإمام حسن البنا ، والإمام أبو الأعلى المودودي ، ومثل الأستاذ سيد قطب في كتابه في ظلال القرآن ومعالم في الطريق ، والأستاذ سعيد حوى في كتابه جند الله ثقافة وأخلاقاً ، والمداخل إلى جماعة الإخوان المسلمين ، والأستاذ فتحى يكن في أكثر مؤلفاته .

عند علمائنا القدامى لوجود جماعة المسلمين وإمامهم فى كل العصور الماضية ، فلم يكتبوا عنها كالعلوم الأخرى ، ولم يستنبطوا منها فروعاً نعتد نحن عليها ، كما فتحوا لنا أبواباً كثيرة وسبلاً عديدة من خلال استنباطهم من أحكام الإسلام الأخرى غير أحكام بناء الرسول ﷺ للجماعة الأولى .



الفصل الثاني  
خطوة الرسول الأولى في دعوته  
( بناء الجماعة )  
المبحث الأول  
إدراك الرسل واتباعهم لهذه الخطوة

إدراكه ﷺ لأهمية هذه الخطوة :

١ - أدرك الرسول ﷺ من الساعات الأولى من الوحي الرباني إليه أن ما وكل إليه القيام به أمر لا يمكن لبشر أن يحمله بمفرده وأنه لابد لهذا الأمر من جماعة قوية تطبقه على نفسها ثم تحمله إلى العالمين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (٥) [ المزمل ] . قال صاحب الظلال عند تفسير هذه الآية : أى ( ثقيلا فى تبعاته ومستلزماته لا فى لفظه أو معناه بل هو ميسر للذكر ) (١) فكانت الخطوة الأولى فى حياته ﷺ هى إقامة وإيجاد تلك الجماعة .

٢ - أدرك ﷺ هذا المعنى من كتاب ربه المنظور والمستطور .

أدرك من الكتاب المنظور أن كل شىء فى الكون يتعاون بعضه مع بعض ، كتلة واحدة ، ليؤدى مهمة واحدة ، هى تسهيل عيش هذا الإنسان على هذه الأرض بعبارة واحدة ، هى : ﴿ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ (١١) [ فصلت ] حتى عبر بعضهم عن هذا المعنى بقوله : ( حركة واحدة من السرة إلى المجرة ) (٢) أى أن كل شمس المجرة وكواكبها تتحرك ، لتوصل الطعام إلى معدة ذلك الإنسان .

٣ - وأدرك ﷺ ذلك من خلال سير من سبقه من الأنبياء والمرسلين فى التنزيل الحكيم ، أدرك أن النبى الذى استجاب له قومه فكونوا حوله جماعة تحمل دعوته بقيت دعوته وحكمت صحفه ، وأن النبى الذى لم يستجب له قومه ولم يكونوا حوله جماعة تحمل دعوته طويت صحفه وغطى الزمان على دعوته .

(١) فى ظلال القرآن ٢٩ / ١٤٧ .

(٢) من محاضرة للأستاذ عبد المجيد الزنداني ألقى بدار الحديث المدنية .

٤ - عبر ﷺ عن هذا المعنى بقوله فيما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﷺ : « عرضت على الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي ومعه الرجل ، والرجلان ، والنبي وليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى ، فقبل لى : هذا موسى وقومه ، ولكن انظر : إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم . فقبل لى : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقبل لى : هذه أمتك » (١) .

فالنبي الذى استجاب له أمته وكونت حوله السواد ، ترعرعت وبقيت دعوته على هذه الأرض ما شاء الله لها أن تبقى ، ثم بعث ذلك السواد يوم القيامة يزف نبيه على رؤوس الأشهاد فى صورة بديعة معبرة ، والنبي الذى لم تستجب له أمته ، ولم تكن حوله جماعة لتحمل معه دعوته هو ذلك النبي الذى غادر هذه الأرض ولم يؤمن به أحد، ثم بعث وليس معه أحد ، ولكنه أمة فى ذاته .

٥ - ولناخذ على هذا المعنى مثالا من قصص الأنبياء من كتاب الله تعالى : فذلك موسى ، وذاك عيسى ، وهذا محمد ﷺ . موسى استجاب له قومه ، وكونوا حوله الجماعة فبقيت توراته حتى يومنا هذا على ما أصابها من تحريف . وعيسى عندما استجاب له الحواريون وكونوا حوله جماعة تحمل دعوته بقيت النصرانية تحمل اسمه إلى يومنا هذا ، على ما تخللها من تحريف .

ومحمد ﷺ عندما تجمعت حوله أمة من الناس تؤمن بدعوته ، وتحملها إلى العالمين بقى الإسلام ضاربا فى أعماق الأرض ممتدا على وجهها شرقا وغربا ، وسيبقى أبد الدهر مادامت هناك طائفة تحمله منصورة به لا يضرها من خذلها ، أو عرقل سيرها .

وهناك أنبياء ورسول لم تستجب لدعوتهم أقوامهم ليكونوا حولهم الجماعات التى تحمل الدعوات والتى بها تنتشر وبدونها تخبو وتندثر .

فغادر أولئك الأنبياء هذه الأرض ومعهم صحفهم لم تنشر ، ومحقت أمهم على الكفر ولم نسمع لواحدة منها ركزا .

هل لأن الله تعالى لم يرد إرادة شرعية لأمم أولئك الأنبياء الهداية والرشاد ؟ كلا وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، بل الله لا يحب الكافرين ، ولا يرضى لعباده الكفر .

(١) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٩٩/١ ، وأخرجه البخارى بنحوه فى مواضع عدة منها ١٦٣/٧ ط إحياء التراث ، وفى الفتح ١٠ / ١٥٥ ، وأخرجه الترمذى ٤ / ٦٣١ ، وقال : حديث حسن صحيح . وهو فى مسند أحمد بتحقيق شاكر ٤ / ١٤٧ - ١٤٩ .

أو لأن واحدا من أولئك الرهط المرسلين قصر فى اتخاذ وسيلة من وسائل إنجاح الدعوات ؟ حاشا وكلا بل سلكوا كل وسيلة لإقناع أممهم .

ولكن عدم استجابة تلك الأمم لتكوين الجماعة التى تحمل الدعوة كان السبب الوحيد فى عدم بقاء أولئك الانبياء وانتشارها .

لقد سلك الانبياء كل وسيلة فى إمكانهم ، وبذلوا كل جهد هو فى مقدورهم ، لتؤمن تلك الأمم وتهتدى ، ولكنها أبقت وأعرضت ، فهذا إبراهيم عليه السلام سلك مع قومه فى بابل (١) كل وسيلة ليؤمنوا ، فأعرضوا عنه وتولوا مدبرين ، بدأهم بالثى هى أحسن ، وبالحجة الواضحة ، والبيان الساطع ، قال تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظُلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) ﴾ [ الشعراء ] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَتُنْفِكُوا إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرْنَا فِي النُّجُومِ (٨٨) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٨٩) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩٠) ﴾ [ الصافات ] .

ثم واجههم بالتهديد والوعيد ، قال تعالى : ﴿ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٩٧) ﴾ [ الانبياء ] . ثم نازلهم باليد واللسان ، قال تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٣) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ (٩٤) ﴾ [ الصافات ]

فما كان منهم إلا أن نكسوا على رؤوسهم بعد أن أقام إبراهيم عليه السلام الحجة عليهم ، وأضلهم الله تعالى على علم ، قال تعالى : ﴿ فَارْجِعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٤) ﴾ [ الانبياء ] فاعترفوا بظلمهم فسحقا للقوم الكافرين .

وعندها استراحت نفس إبراهيم عليه السلام إلى ما بذل معهم ، وأدرك أنه قد أدى واجبه نحوهم ، وأنهم هم الذين قعدوا عن نصرته ودعوته ، بأن يكونوا عصبة تؤمن به وتحمل معه الدعوة ، وتبلغها للناس من بعده فتركهم على كفرهم وهو يقول : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِينَ (٩٩) ﴾ [ الصافات ] .

(١) انظر البداية والنهاية : فى تفصيل قصة سيدنا إبراهيم فى شعب بابل ١ / ١٤٣ - ١٤٧ .

إبراهيم عليه السلام يدرك تلك الحقيقة :

وإبراهيم عليه السلام فى طريقه إلى ربه أعلن عن تلك الحقيقة التى لا بد منها لنصر الدعوات ، وهى إما جماعة تحمل الدعوة فتتصر تلك الدعوة ، أو لا جماعة فلا نصر ، وهى الحقيقة التى أدركها سيدنا محمد ﷺ لأول وهلة فى دعوته ، والتى يجب أن يدركها كل داعية إلى هذا الإسلام .

أدركها إبراهيم عليه السلام فطلب من الرب سبحانه أن يهب له من الصالحين ، جماعة تلتف حوله تحمل دعوته وتطبقها على نفسها ، ثم تنشرها فى العالمين من بعده ، قال تعالى :

﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٠٠) ﴿ [ الصافات ] .

هذه هى الحقيقة التى انتهى إليها سيدنا إبراهيم بعد ما سلك كل الطرق لتبقى دعوته ، وهى الحقيقة التى أدركها سيدنا لوط فى الليلة التى داهم قومه ضيفه ، أحس بقيمة الجماعة وأنها خطوة لابد منها للدفاع عن الدعوة والداعية ، قال تعالى : ﴿ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٨٠) ﴿ [ هود ] .

قال القرطبى عند هذه الآية : ( مراد لوط بالركن : العشرة والمنعة ) (١) .

وهى الحقيقة التى أدرك أهميتها قوم شعيب وحالت بين شعيب والمعتدين عليه بالرجم ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٩١) ﴿ [ هود ] .

وهى الحقيقة التى جعلها رسول الله ﷺ خطوته الأولى فى دعوته . إنها حقيقة يجب أن يدركها الدعاة فى كل زمان ومكان ، وأن يعملوا بها . هذه الحقيقة هى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ وبدونها لا يمكن للدعوة أن تبقى أو تنتشر .

الرسول ﷺ يبين أهمية هذه الحقيقة :

ولقد عبر رسول الله عن أهمية هذه الحقيقة فى نجاح الدعوة ، وبين أنها هى التى تقرر مصير الدعوة من حيث البقاء وعدمه ، وذلك فى أثناء مناجاته لربه سبحانه وتعالى فى يوم بدر .

كما روى عن عمر بن الخطاب رضيه الله عنه قوله (٢) : لما كان يوم بدر ... فاستقبل

(١) الجامع لأحكام القرآن ٩ / ٧٨ .

(٢) رواه مسلم ٣ / ١٣٨٤ من حديث طويل ، وهو فى الترمذى ٥ / ٢٦٩ ، ومسند أحمد ١ / ٣٠ ، ٣٢ ، ١١٧ .

النبي ﷺ ، ثم مد يده فجعل يهتف بربه : « اللهم إن تهلك هذه العصابة (١) من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ... » الحديث .

هكذا : « إن تهلك تلك العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض » ؛ لأن محمدا ﷺ هو آخر الرهط الكرام من الأنبياء والمرسلين ؛ ولأنه لا يستطيع أن يربى جماعة جديدة إن هلكت عصابته التي مكث يزكيها ويربّيها ويقويها خمس عشرة سنة كاملة ، بين مكة والمدينة، فعلى ذلك لا عبادة لله في الأرض . إنها حقيقة يجب أن يقف الدعاة عندها كثيرا ، هذه الحقيقة هي أن الدعوة لا بد لها من جماعة تحملها ، وأن على الدعاة أن يضحوا بكل شيء في سبيل إيجادها ، وأن ينسوا كل شيء في سبيل المحافظة عليها وعلى وحدتها .

### إجماع مفكرى العصر الحديث عليها :

وعلى هذه الحقيقة اتفق أصحاب الفكر الإسلامى المعاصر .

يقول الأستاذ المودودى : ( ومن سنن الله فى الأرض أن يحمل هذه الدعوة رجال يحافظون عليها ويسوسون أمرها ) (٢) .

ويقول الأستاذ حسن البنا : ( يجب أن تحمل هذه الدعوة جماعة تؤمن بها وتجاهد فى سبيلها ) (٣) .

ويقول الأستاذ سيد قطب : ( فكيف تبدأ عملية البعث الإسلامى إنه لا بد من طليعة تعزم هذه العزمة ) (٤) .

ويقول الأستاذ سعيد حوى : ( هذا هو الحل الوحيد الآن أن تقوم جماعة ) (٥) .  
ويقول الأستاذ فتحى يكن : ( فالرسول ﷺ لم يعتمد أسلوب العمل الفردى قط ، وإنما حصّ من أول يوم على إقامة جماعة ) (٦) .

ويقول الأستاذ محمد أحمد الراشد : ( إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء من أول عهد الرسول ﷺ ، أن يوجد فى بقعة من الأرض أناس يدينون دين الحق ) (٧) .

فإذا وضحت هذه الحقيقة من سيرة الرسول ﷺ ، وانتصب ذلك الواجب أمام

---

(١) قال عبد الباقي على مسلم : العصابة : الجماعة .

(٢) تذكرة دعاة الإسلام ص ١٩ .

(٣) المؤتمر الخامس ص ١٧ .

(٤) معالم فى الطريق ص ٩ .

(٥) جند الله ثقافة ص ٣١ .

(٦) ماذا يعنى انتمائى للإسلام ص ١٠٣ .

(٧) المنطلق ص ١٦٥ .

الدعاة إلى الله تعالى ، فعلى كل مسلم أحس بواجب الدعوة الإسلامية عليه ، وأراد أن يتحرك لهذه الدعوة ، يجب أن تكون الخطوة الأولى في حياته هي خطوة الرسول ﷺ الأولى ، ألا وهي البحث عن الجماعة ، أو إيجادها لتعينه على ذلك الواجب ، ذى الحمل الثقيل الواسع التبعات، قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [ المزمل ] .

## المبحث الثاني دعاة الإسلام وخطوة الرسول الأولى

أقسام الدعاة بالنسبة لهذه الخطوة :

بعد أن اتضح أن خطوة الرسول ﷺ الأولى في دعوته بمكة المكرمة كانت هي إيجاد الجماعة التي تحمل مهام الدعوة وتنشر تعاليمها من بعده ، واستبان وجوب التزام الدعاة الإسلاميين بهذه الخطوة ، والمحافظة عليها ، يحسن أن أبين هنا أن الدعاة الإسلاميين اليوم ، وفي غياب جماعة المسلمين بالنسبة لهذه الخطوة النبوية قسمان :

- ١ - دعاة من أرض توجد بها جماعة أو جماعات إسلامية ، فهذا القسم له حكمه الخاص به ، بالنسبة لخطوة الرسول الأولى التي هي إيجاد الجماعة .
- ٢ - دعاة من أرض لا توجد بها جماعة تدعو إلى الإسلام أصلاً ، وهذا القسم له حكم مستقل عن الأول أيضاً .

أولاً : دعاة من أرض بها جماعة أو جماعات إسلامية :

١ - واجبهم إذا وجد في البلد جماعة واحدة :

إن الدعاة الذين توجد في بلادهم جماعة أو جماعات تدعو إلى الإسلام لا يحق لهم بحال من الأحوال تأسيس جماعة جديدة في تلك البلاد ؛ لأن ذلك يعنى أن البلاد ستتحول إلى جماعات بعدد الدعاة من أهلها ، ثم تدخل بعد ذلك في صراع واختلاف وشقاق لا حصر له ، وهذه النتائج من الصراعات والاختلافات تصطدم مع قواعد الاعتصام ونبد الشقاق والاختلاف بين المسلمين ، والمحافظة على أخوة المؤمنين ووحدتهم في الدين الإسلامي ، والذي أسست الجماعة في الأصل لحمل دعوته ونشرها بين الناس ، ولكن الذي يجب عليهم هو الانخراط في الجماعة الموجودة في البلاد والتي سبقوا إلى تأسيسها ، ثم محاولة إصلاح ما يلاحظونه من نقص وهم داخل الجماعة ، وكل موقف غير الانضمام إلى تلك الجماعة فهو موقف سلبي يجب أن يترفع عنه الدعاة إلى الله تعالى ، هذا إذا كانت جماعة واحدة ، أما إذا كانت في البلاد عدد من الجماعات فإن الحكم يختلف .

## ٢ - واجبهه إذا وجد فى البلد عدد من الجماعات :

أما إذا كان فى البلاد عدد من الجماعات ، الداعية إلى الإسلام فموقف الدعاة إلى الله هو أن يقيسوا مبادئ وأفكار تلك الجماعات الموجودة بميزان الإسلام الحنيف ؛ لينظر أى تلك الجماعات أقرب إلى الإسلام فى مبادئها ، وأفكارها ، فتكون هى الجماعة التى يجب أن ينخرط الدعاة إلى الإسلام فى صفها ، ثم يحاولوا ضم باقى الجماعات إليها ، إن تيسر ذلك ؛ لأن فى ضمها قطعاً لدابر الخلافات بينها ، وتوحيداً لجهة الدعوة أمام أعدائها .

وقبل الدخول فى معرفة مبادئ وأفكار تلك الجماعات - من حيث القرب من الإسلام أو البعد عنه - على الدعاة ملاحظة ما يلى :

أ - ملاحظة ماهية الأمور التى تمثل النقص فى تلك الجماعات ، هل هى من أصول الدين أو من فروعه ؟ فإن كانت من أصول الدين فلا وفاق مع الجماعة التى فيها ذلك النقص ، والواجب إرشاد تلك الجماعة إلى نقصها دون الانخراط فى صف تلك الجماعة .

وأما إذا كان النقص فى فروع الدين فيجب ألا يحول ذلك النقص بين الدعاة وبين الانخراط فى صف تلك الجماعة ، بل الواجب الانخراط فى الجماعة ومحاولة إصلاح ذلك النقص الفرعى من داخل الجماعة .

ب - ويلاحظ أنه إذا اجتمعت جماعتان فى النقص فى الفروع تقدم الجماعة الأقل نقصاً على الأكثر نقصاً .

ج - ملاحظة أن الجماعات تقوم فى مجموعها على أفراد من جنس البشر ، تنطبق عليهم قاعدة الخطأ البشرى، والضعف البشرى، وعليه فإن كان النقص فى تلك الجماعات نتيجة لاجتهاد بشرى ، فيجب ألا يحول ذلك النقص بين تلك الجماعة التى فيها ذلك النقص ، وواجب أولئك الدعاة الانضمام إليها أيضاً .

د - وخلاصة هذه النقطة أن البلاد الإسلامية منها ما يوجد به جماعة أو جماعات تدعو إلى الإسلام ، فعلى الداعية أن ينخرط فى أقربها إلى الإسلام .

مع مراعاة حقيقة هى أن كل البلاد الإسلامية لا تخلو من خير وهذا الخير فيه من الدخن ما فيه ، وعلى الداعية الإسلامى الماهر محاولة تنقية ذلك الدخن ، وهذا الدخن لا يخلو من قصور بشرى ؛ لأن الدين الإسلامى منزّه عن الدخن ، وإنما جاء الدخن



من يحمل ذلك الدين من البشر ، وهؤلاء البشر فيهم من القصور والضعف البشرى الكثير ، وعلى الداعية الذكى أن يتقرب إلى هؤلاء البشر بالحكمة ليصل إلى قلوبهم ، ثم يبدأ التغيير بعد ذلك . هذا مع ملاحظة ما قرر من قواعد تقدمت الإشارة إليها .

ثانيا : دعاة من أرض لا توجد بها جماعة إسلامية :

فهؤلاء واجبهم الأول تأسيس الجماعة وسنكتب لهم معالم من سيرة الرسول ﷺ عندما بعث في مكة وأسس فيها جماعة حملت هذا الدين من بعده إلى العالمين ، وعلى هؤلاء الدعاة أن يدركوا أن كل خطوة في حياة دعوتهم لا تؤدي إلى تأسيس أو تقوية بناء الجماعة فهي سلبية ، وأنهم يسرون على غير نهج الرسول ﷺ في دعوته ، وهو النهج الذى نزهه الله تعالى عن القصور وعصمه من الخطأ، وأن الشارع ألزمهم وأوجب عليهم السير على نهجه ﷺ ، ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٢١) [ الاحزاب ] .

## الفصل الثالث

### معالم من سيرة الرسول في بناء الجماعة

#### المبحث الأول

#### في المعلم الأول من سيرة الرسول

#### وهو نشره لمبادئ الدعوة

الطرق التي سلكها في النشر :

والمعلم الأول في حياته ﷺ في بناء الجماعة نشره لمبادئ الدعوة وتعاليمها ، والطريق إلى نشر المبادئ والتعاليم الإسلامية هي إخبار الناس بهذه الأفكار والمبادئ شيئا فشيئا ، وبحسب أهمية تلك المبادئ والأفكار في الدعوة ، وبحسب اتساع مفاهيم أولئك الناس وقدرة عقولهم على الإدراك والاستيعاب .

وكان شعار هذا المعلم قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ الآية [ النحل : ١٢٥ ] .

ولقد سلك رسول الله ﷺ في هذه المرحلة ، التي سمينها إخبار الناس واطلاعهم على مبادئ وأفكار الدعوة الجديدة ، شيئا فشيئا ، بحسب أهميتها في الدعوة ، وبحسب قدرة عقول أولئك الناس على الاستيعاب والتطبيق لهذه المبادئ والأفكار طريقين :

الطريق الأول : الاتصال الفردي :

وهو الذي يسميه مؤرخو السيرة الشريفة المرحلة السرية في الدعوة ، وخلاصة هذه الطريق أنه كان عليه الصلاة والسلام يأتي إلى من يثق به من أهله وأصدقائه فيطلعهم على خبره على انفراد ، ثم يطلب منه الموافقة عليه وأن يكتم ذلك الاتصال مطلقا ، سواء وافق عليه أو لم يوافق ، حرصا منه عليه الصلاة والسلام ألا تضرب الدعوة في مهدها والشواهد على هذا الطريق كثيرة منها :

١ - عرضه ﷺ خبره على السيدة خديجة زوجة ﷺ كما جاء في صحيح البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها من حديث طويل : « ... فقال لخديجة وأخبرها الخبر ... »

الحديث (١) . وقال شارح بهجة المحافل : ( ومن أسلم أولا خديجة ، أى لما مر أولا فى ابتداء الوحي من رجوعه ﷺ إليها وقوله لها زملونى زملونى ) (٢) ١. هـ .

وقال ابن هشام تحت عنوان : ( إسلام خديجة رضيها ) : ( وأمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله وآزرتة على أمره ، وكانت أول من آمن بالله ورسوله وصدق بما جاء منه ، فخفف الله بذلك عن نبيه ) (٣) .

٢ - ومن ذلك عرضه ﷺ خبره على ابن عمه على بن أبى طالب رضيهما كما جاء فى سيرة ابن إسحاق :

قال : ( ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان ، فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال النبي ﷺ : « دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله ، فادعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته . . . » فقال له على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلبست بقاوض أمراً حتى أحدث أبا طالب . . . فقال له الرسول ﷺ : « يا على ، إذا لم تسلم فاكتم » ) (٤) .

وعن ابن هشام قال : قال ابن إسحاق : ( ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ ، وصلى معه وصدق بما جاءه من الله تعالى : على بن أبى طالب رضيهما وهو يومئذ ابن عشر سنين ) (٥) .

وقال ابن كثير : ( وكان على يكتم إيمانه ) (٦) . وقال صاحب عيون الاثر : ( إن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفياً من أبى طالب وجميع أعمامه وسائر قومه فيصلان فيها ) (٧) .

وتشدد حاجة الدعوة إلى سلوك هذه الطريق فى مرحلتين :

الأولى : فى ابتداء الدعوة وتأسيس الجماعة ، والثانية : عند منع السلطة الحاكمة لرجال الدعوة من مواصلة نشاط الدعوة علناً ومن دروس عامة .

---

(١) أخرجه البخارى فى مواضع عدة منها ٥/١ ، ومسلم ١٣٩/١ ، وأحمد ٣/٣٩ ، ٦ / ٢٢٣ ، وانظر أيضاً سيرة ابن هشام ١ / ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

(٢) بهجة المحافل ١ / ٧٣ . (٣) سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٠ .

(٤) كتاب السير والمغازي لمحمد بن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ص ١٣٧ .

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٥ . (٦) البداية ٧ / ٢٢٤ .

(٧) عيون الاثر لابن سيد الناس ١ / ٩٣ .

## الطريق الثانى : الاتصال العام :

وهو الذى يسميه مؤرخو السيرة المطهرة مرحلة الجهر بالدعوة وخلاصة هذه الطريق :  
أن تستعمل الدعوة كل وسائل الإعلام فى الوقت الحاضر ، من إذاعة وصحافة وتلفاز  
وكتب وخطب ومحاضرات وندوات ، لنشر أفكار الدعوة ومبادئها فى الناس على  
مختلف طبقاتهم .

وقد سلك الرسول ﷺ فى هذه الطريق وسائل عدة لإيصال دعوته إلى الناس منها :

### ١ - جمعه ﷺ الناس على طعام فى بيته ثم إخبارهم بما عنده من مبادئ الدعوة :

كما جاء فى مسند الإمام أحمد عن على بن أبى طالب قال : ( جمع رسول الله ﷺ  
أو دعا رسول الله ﷺ بنى عبد المطلب فيهم رهط كلهم يأكل الجزعة ويشرب الفركة ،  
قال : فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى شبعوا ، وقال : وبقي الطعام كما هو كأنه لم  
يمس ثم دعا بغمر <sup>(١)</sup> فشربوا حتى رووا وبقي الشراب كأنه لم يمس أو لم يشرب ، فقال :  
« يا بنى عبد المطلب ، إني بعثت لكم خاصة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذه  
الآية ما رأيتم ، فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى وصاحبى ؟ » قال : فلم يقم إليه أحد  
وكننت أصغر القوم . قال : فقال : « اجلس » . قال : ثلاث مرات كل ذلك أقوم إليه  
فيقول لى : « اجلس » حتى كان فى الثالثة ضرب بيده على يدي ( ٢ ) .

### ٢ - جمعه ﷺ الناس فى أماكن مختلفة ثم تبليغهم رسالة ربه :

كما روى البخارى وغيره عن ابن عباس رضيهما الله عنهما قال : لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ  
الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) [ الشعراء ] ورهطك منهم المخلصون خرج رسول الله ﷺ حتى صعد  
الصفاء فهتف : « يا صباحاه » . فقالوا : من هذا ؟ فاجتمعوا إليه . فقال : « رأيتم إن  
أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ » قالوا : ما جربنا  
عليك كذبا . قال : « فإننى نذير لكم بين يدي عذاب شديد . » الحديث ( ٣ ) .

### ٣ - ذهابه إلى أماكن تجمع الناس وتبليغهم دعوة الله تعالى :

أخرج أحمد عن ربيعة الديلى وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت رسول الله ﷺ فى

(١) قال فى الوسيط : الغمر : القدح الذى يشرب به الناس ٢ / ٦٦٨ .

(٢) مسند أحمد تحقيق شاكر ( ٢ / ٣٥٢ ) وقال شاكر : إسناده صحيح ، والحديث نقله ابن كثير ( ٦ / ٢٤٦ ،  
٢٤٧ ) وهو أيضا فى الزوائد ( ٨ / ٣٠٢ ) وقال : رواه أحمد ورجاله ثقات . وهو الثابت فى الأصول

ومجمع الزوائد ١ . هـ . وانظر : البداية ٣ / ٣٩ .

(٣) أخرجه البخارى ٦ / ٢٢١ ، وهو فى الفتح ٨ / ٧٣٧ ، مسلم ١ / ١٩٤ ، وأحمد ١ / ٢٨١ .

الجاهلية في سوق ذى المجاز وهو يقول: « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » (١). وقال ابن إسحاق : ( فكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم إذا كانت على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ويخبرهم أنه نبي مرسل ) (٢) .

وقال صاحب بهجة المحافل : ( اجتهد رسول الله ﷺ في عرض نفسه على القبائل في مجامعهم في المواسم منى وعرفات ومجنة وذى المجاز وغيرهم ) (٣) .

#### ٤ - ارتحاله إلى البلدان لتبليغ الدعوة :

كما جاء عن ابن إسحاق قوله : ( لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف ... ) الحديث (٤) .

وكما جاء بنحو عن عائشة رضي الله عنها قالت : « يا رسول الله ، هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد ... » الحديث (٥) .

#### ٥ - كتاباته ﷺ إلى رؤساء القبائل وملوك الأقاليم يدعوهم إلى الله تعالى :

قال صاحب بهجة المحافل : ( جهز رسول ﷺ كتبه إلى ملوك الأقاليم الجبابة يرغبهم ويرهبهم ، فبعث دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، وعبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ، وحاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، وصلت بن عمرو العامري إلى هوزة بن علي الحنفي ، وما اشتهر من ذلك واتفق عليه الصحيحان كتابه إلى هرقل وهو قيصر ) (٦) ، كما جاء ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث أبي سفيان مع هرقل وفيه نص رسالة رسول الله ﷺ وهي : « بسم الله الرحمن الرحيم . فإني أدعوك بدعاية الإسلام ... » الحديث (٧) .

#### الجانب التنظيمي في نشر الدعوة :

بعد أن وضحت الطريقتين اللتين سلكهما الرسول ﷺ في نشر دعوته ، وهما الاتصال الفردي، والاتصال العام - أو الجماعي، ووضحت الوسائل إلى هذين الطريقتين،

(١) أخرجه أحمد ٤٩٢/٣ ، وانظر : أيضا البداية ٤١/٣ وابن هشام ٤٢٢/١ - ٤٢٩ ، وعيون الأثر ١٦٢/١ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ / ٤٢٢ .

(٣) بهجة المحافل ١٢٧/١ ، وانظر أيضا عيون الأثر ١٥٢/١ ، والمواهب اللدنية ١ / ٣٠٩ ، والبداية ٣/١٣٨ .

(٤) السيرة لابن هشام ١ / ٤١٩ ، والمواهب اللدنية ١ / ٣٠٥ ، والبداية ٣ / ١٣٥ .

(٥) أخرجه البخاري ١٣٩/٤ ، ومسلم ٣ / ١٤٢٠ ، وانظر أيضاً لابن إسحاق في السيرة ٤١٩ ، وبهجة

المحافل ١٢٣/١ وقال صاحب بهجة المحافل : ( وقد تعدد الحديث في صحيح مسلم من رواية عائشة عنه ﷺ أن هذا الموقف بالطائف أشد ما لقي في ذلك ) ١ - هـ .

(٦) بهجة المحافل ١ / ٣٣٦ .

(٧) أخرجه البخاري في مواضع عدة منها ١٠ / ١٦ وهو في الفتح ٣١ - ٣٣ ، وفي مسلم ٣ / ١٣٩٣ -

١٣٩٧ ، وأحمد ١ / ٢٦٣ .

أبين الآن الجانب التنظيمي، أو خطة العمل لهذا النشر، وهي تتلخص فيما يلي :

١ - أن يحدد الداعية إلى الله ماهية المبادئ التي سيبدأ بنشرها بحسب أهميتها في الدعوة ، فالرسول ﷺ عندما أوحى الله تعالى إليه أنه نبي الله تعالى ورسوله . حدد الله تعالى المبدأ الأول والأهم لدعوته ، وهو المبدأ الأول لجميع الرهط الكريم من الأنبياء والمرسلين ، هذا المبدأ هو : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ، ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [ النحل : ٣٦ ] (١) ، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [ الأنبياء ] .

٢ - يتفق مع من أجابه ووافق على المبدأ الذي حدده على أن يأتي كل واحد منهما بواحد موافق على دعوتهما التي اتفقا عليها في فترة زمنية معينة ، وعلى هذا سيصبح الاثنان أربعة بعد تلك الفترة من الزمن ، وهكذا سيصبح الأربعة ثمانية والثمانية ستة عشر . . . وسنوضح هذه النظرية التنظيمية بالنموذج التالي :

أ - ليكن المبدأ تعليم الناس فاتحة الكتاب مثلاً ، أو التركيز على أهمية العمل الجماعي ، أو الحث على الصلاة .

ب - الزمن الذي سيستغرقه تنفيذ ذلك المبدأ ساعة واحدة من كل يوم لمدة شهر كامل .  
ولنبداً بداعية واحد قرر أن يقوم بذلك العمل ويأتي بآخر بعد شهر :

| الموضوع المدروس | العدد المتكرر | الزمن المتفق عليه            |
|-----------------|---------------|------------------------------|
| كيف تصلى        | ٢             | الشهر الأول من السنة الأولى  |
|                 | ٤             | الشهر الثاني من السنة الأولى |
|                 | ٨             | الشهر الثالث من السنة الأولى |
|                 | ١٦            | الشهر الرابع من السنة الأولى |
|                 | ٣٢            | الشهر الخامس من السنة الأولى |
|                 | ٦٤            | الشهر السادس من السنة الأولى |
|                 | ١٢٨           | الشهر السابع من السنة الأولى |
|                 | ٢٥٦           | الشهر الثامن من السنة الأولى |
|                 | ٥١٢           | الشهر التاسع من السنة الأولى |

(١) النحل آية : ٣٦ . وانظر آيات الأعراف : ٥٩ ، ٦٥ ، ٧٣ ، ٨٥ . وهود : ٥٠ ، ٦١ ، ٨٤ .

| الموضوع المدروس | العدد المتكرر  | الزمن المتفق عليه                 |
|-----------------|----------------|-----------------------------------|
| كيف تصلى        | ١٠٢٤           | الشهر العاشر من السنة الأولى      |
|                 | ٢٠٤٨           | الشهر الحادى عشر من السنة الأولى  |
|                 | ٤٠٩٦           | الشهر الثانى عشر من السنة الأولى  |
|                 | ٨١٩٢           | الشهر الأول من السنة الثانية      |
|                 | ١٦٣٩٤          | الشهر الثانى من السنة الثانية     |
|                 | ٣٦٧٦٨          | الشهر الثالث من السنة الثانية     |
|                 | ٧٧٥٣٦          | الشهر الرابع من السنة الثانية     |
|                 | ١٥٥٠٧٢         | الشهر الخامس من السنة الثانية     |
|                 | ٣١٠١٤٤         | الشهر السادس من السنة الثانية     |
|                 | ٦٢٠٢٨٨         | الشهر السابع من السنة الثانية     |
|                 | ١٢٤٠٥٧٦        | الشهر الثامن من السنة الثانية     |
|                 | ٢٤٨١١٥٢        | الشهر التاسع من السنة الثانية     |
|                 | ٤٩٦٢٣٠٤        | الشهر العاشر من السنة الثانية     |
|                 | ٩٩٢٤٦٠٨        | الشهر الحادى عشر من السنة الثانية |
|                 | ١٩ ، ٨٤٩ ، ٢١٦ | الشهر الثانى عشر من السنة الثانية |

**ملاحظة :** فى حالة الرغبة فى زيادة المواضيع المدروسة يزداد الزمن بحيث يصبح شهرين ، شهر لتعليم كيف يصلى المسلم مثلاً ، والشهر الثانى كيف يقرأ القرآن ... وإلى آخره .

من هذا الجدول التوضيحي تدرك ما يلى :

أ - أن جماعة من الناس تعدادها ( ٢٦١ ، ٨٤٩ ، ١٩ ) قد تشربت مبدأ معيناً أو عملاً معيناً فى زمن قصير قدره ستان .

ب - وتلمس أن النظرية أكثر واقعية من حيث الإمكان فالداعية الذى لا يعطى ساعة واحدة من يومه لدعوته ليس داعية بحق ، وداعية لا يستطيع أن يخرج تلميذاً

حافظا لفاتحة الكتاب بعد ثلاثين ساعة من الزمن - هذا الزمن طوله شهر كامل - ليس داعية بحق .

جـ - ثم تدرك أن جماعة هذا عددها ستفعل أشياء كثيرة وكثيرة جدا .

د - وأن زمنا تكونت فيه هذه الجماعة الكثيرة العدد لزمن قصير وقصير جدا بمقياس بناء الجماعات ، ولكن في الحقيقة أن همم الرجال إذا نظمت تفعل أكثر من ذلك .

فإذا أدركت ذلك كله فاعلم أن هذا العدد لهذه الجماعة في الشهر الأول من السنة الثالثة سيصبح ٤٣٢ ، ٦٨٩ ، ٣٩ ، وفي الشهر الثاني من السنة الثالثة سيصبح ٤٣٢ ، ٣٩٦ ، ٧٩ ، وهكذا تتضاعف الأرقام تضاعفا هائلا كلما تقدم الزمن .

فاستعن بالله وتوكل عليه .



## المبحث الثانى فى المعلم الثانى من سيرة الرسول وهو التكوين على الدعوة

مفهوم معلم التكوين :

المعلم الثانى من سيرة الرسول ﷺ فى بناء جماعته التكوين على الدعوة ، وهو الذى سينتج عن المعلم الاول من سيرة الرسول ﷺ سواء فى الاتصال الفردى ، أو الاتصال الجماعى ، وتفصيل ذلك أنك تلاحظ أن ناسا ممن نشرت فيهم تعاليم الدعوة وافقوا عليها فأمنوا بالدعوة واستجابوا لها ، وناسا منهم لم يوافقوا على الدعوة ورفضوها .

وأقرب مثال على ذلك عرض الرسول ﷺ دعوته على ابن عمه على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فوافق عليها واستجاب (١) لها ، وعرضه ﷺ دعوته على عمه أبى طالب فلم يوافق عليها ورفضها (٢) .

هذا فى مرحلة الاتصال الفردى ( أى مرحلة الدعوة السرية ) .

ومن المرحلة الجهرية وقوفه ﷺ على الصفا ومناداته لبطون قريش وعرضه ﷺ دعوته عليهم ، فمنهم من آمن بدعوته ومنهم من قال : تبأ لك ، وانصرف (٣) .

فالمعلم الثانى من سيرة الرسول ﷺ خاص بالقسم الذى وافق على الدعوة من المعلم الاول ( الذى هو نشر الدعوة ) واستجاب لها وآمن بها ، فمفهوم هذا المعلم إذن هو تكوين ذلك المستجيب للدعوة على أسس الدعوة ، وصبغه بمحتواها وأفكارها وتعاليمها ، وهذا ما لا يمكن أن يكون فى نطاق المعلم الاول الذى هو النشر والإعلام بل لا يمكن أن يكون إلا فى نطاق التربية والتعليم ، والتربية والتعليم لا يمكن أن تكون إلا فى نطاق المعلم الثانى وهو معلم التكوين .

(١) انظر : ابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار ١٣٧ فى قصة إسلام على بن أبى طالب .

(٢) انظر : ابن هشام ١ / ٢٤٧ فى تفصيل عرضه ﷺ الإسلام على عمه أبى طالب .

(٣) انظر : فتح البارى ٨ / ٧٣٧ فى تفصيل وقوفه على الصفا ﷺ .

وأما القسم الذى رفض الدعوة ولم يستجب لها فمكانه أن يبقى فى المعلم الأول ، وصلة الدعوة به التبليغ والإنذار ، حتى يفتح الرب سبحانه وتعالى ويأذن بمجابته وإخضاعه للدعوة الإسلامية .

﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٨٧) [ الاعراف ] .

قال الإمام الطبرى عند تفسير هذه الآية : ( يعنى بقوله تعالى ذكره : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ﴾ وإن كانت جماعة منكم وفرقة آمنوا ، يقول صدقوا ﴿ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ من إخلاص العبادة لله . . . فاتبعونى على ذلك ﴿ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴾ يقول : جماعة أخرى لم يصدقوا بذلك ولم يتبعونى عليه ﴿ فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ فهو خير من يفصل (١) .

نموذج الحركة فى هذا المعلم :

ولتوضيح ما قلنا فى هذه النقطة قمنا برسم توضيحي (٢) له تضمن الكرة الأرضية ، وموقع مكة منها ، وكيف بدأ الرسول ﷺ المعلم الأول ، ثم انقسام الناس إلى موافق على دعوته ، وغير موافق عليها ، ثم كيف بدأ المعلم الثانى مع القسم الموافق وماذا فعل مع القسم الذى لم يوافق على دعوته .

والمعلم الثانى من سيرته عليه الصلاة والسلام مكمل للمعلم الأول وملتحم به ، فهما معلمانا يتم أحدهما الآخر . فالذين يقفون عند الخطوة الأولى من الدعوة والتى هى التبليغ والإخبار ، ولم ينتقلوا بمن وافقهم على دعوتهم إلى الخطوة الثانية ، التى هى البناء والتكوين ، أناس يسيرون بدعوتهم على غير نهج الرسول ﷺ فى دعوته .

إن الذين اكتفوا فى دعوتهم بالخطب على المنابر فى المساجد والمحاضرات والندوات فى المدارس والجامعات ، ولم ينقلوا من وافقهم على ما جاء فى خطبهم ومحاضراتهم إلى خطوة تكوينية كمرحلة ثانية ، مثلهم كالباسط يديه إلى الماء ليلبغ فاه وما هو ببالغه؛ لأنه لم يرفع يديه بالماء إلى فيه كمرحلة ثانية للوصول إلى الشرب .

فكما أنه لا بد أن يبلغهم ما عنده من دعوة يجب عليه أن يريهم على عقائد وأخلاقيات تلك الدعوة ويكونهم عليها ، وإلا فلا يمكن أن تصل دعوته إلى غايتها

(١) انظر : تفسير الطبرى ٨ / ٢٤٠ .

(٢) انظر الرسم بصفحة / ٢٠٩ .

وإذا كان للمعلم الأول وسائله وخطواته فإن لهذا المعلم أهدافه وأساليبه كذلك .

### شعار هذه المرحلة :

ومن أهم شعارات ذلك المعلم هو توجيه الرب سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ والدعاة من بعده ذلك التوجيه المتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [ الكهف ] .

فالآية الكريمة تأمر النبي ﷺ بأن يصبر على تقصير وأخطاء المستجيبين لدعوته ، وأن يصبر على كثرة تساؤلاتهم خاصة إن كانت خاطئة ، وأن يصبر على ترددهم في قبول التوجيهات ، وأن يجتهد في تصبيرهم على فتنة أعداء الدعوة ، وأن يوضح لهم طبيعة طريق الدعوة ، وأنها شاقة ، وألا يغرر به مغرر ليعده عنهم ، وألا يسمع فيهم منتقضا ، ولا يطيع فيهم متكبرا أغفل الله قلبه عن حقيقة الأمور وجوهرها .

### أهداف تلك المرحلة :

ومن أعظم أهداف هذا المعلم ما جاء في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [ الجمعة ] .

فالآية تبين أن من أهم أهداف هذا المعلم تحويل عقل الأمي من أميته إلى العلم والحكمة والمعرفة ، وتحويل روحه وسلوكه من الضلال والغي إلى الطهر والتزكية ، وهذا لا يكون إلا عن طريق التربية والتعليم اللذين هما محور معلم التكوين .

### الجانب التنظيمي في هذا المعلم :

والجانب التنظيمي في المعلم الثاني من سيرة الرسول ﷺ في بناء الجماعة الذي هو التكوين ، قد يأتي دوره في مرحلة الاتصال الفردي في المعلم الأول ، وهي المرحلة السرية ، وقد يأتي وقته أو دوره في مرحلة الاتصال الجماعي من المعلم الأول ، أو يأتي وقته في كلا المرحلتين .

ولقد سلك الرسول ﷺ أسلوبا خاصا في كل حال من الأحوال الثلاثة :

## ١ - إذا جاء وقته فى المرحلة السرية :

فإذا كان وقت ذلك المعلم فى مرحلة الاتصال الفردى وهى المرحلة السرية ، فقد سلك الرسول ﷺ طريق توزيع المستجيبين للدعوة والذين هم فى معلم التكوين إلى خلايا صغيرة يتراوح عدد أفرادها بين الثلاثة إلى الخمسة ، تجتمع تلك الخلايا يوميا أو دوريا لتكون فى أماكن مختلفة وأزمنة مختلفة ، ومن الأمثلة على ذلك من سيرة الرسول ﷺ :

أ - ما قاله ابن إسحاق : ( كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا فى الشعاب فاستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينما سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فى شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم ، فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم أهرق فى الإسلام ) (١) .

فهذا قول صريح فى توزيع الرسول ﷺ أفراد الدعوة إلى خلايا صغيرة وفى أماكن مختلفة .

ب - وكذلك من قصة خروجه ﷺ مع على بن أبى طالب إلى شعاب مكة يصليان فيها . قال ابن إسحاق : ( أن رسول الله ﷺ كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفيا من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها ) (٢) .

ج - ومن قصة إسلام عمر بن الخطاب ؓ ، قال ابن إسحاق من حديث طويل : ( فرجع عمر عامداً إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها مطلع سورة طه يقرئهما إياها . . . ) ففى هاتين القصتين أيضا دليل على ما نقول وهو توزيع الرسول ﷺ لأصحابه فى تلك المرحلة العصبية من حياته ﷺ إلى خلايا صغيرة وهى مرحلة سطوة الباطل عليهم وسرية الدعوة نتيجة لتلك السطوة الطاغية .

د - وكذلك من قصة (٣) إسلام على ؓ عندما جاء ووجد الرسول ﷺ يصلى

(١) السيرة لابن هشام ٢٦٨/١ ، وانظر : بهجة المحافل وشرحه ٧٦/١ ، والروض الأنف للسهيلى ٤٣ / ٣ .

(٢) السيرة لابن هشام ٢٤٦ / ١ وكذا فى عيون الاثر لابن سيد الناس ٩٣ / ١ .

(٣) جاء فى السير والمغازي : ( حدثنا أحمد : حدثنى يونس عن ابن إسحاق قال : ثم إن على بن أبى طالب جاء بعد ذلك بيومين فوجدهما يصليان فقال على : ما هذا يا محمد ؟ فقال النبى ﷺ : « دين الله الذى اصطفى لنفسه وبعث به رسله فادعوك إلى الله وحده ، وإلى عبادته ، وكفر باللات والعزى » ، فقال له =

مع زوجه خديجة وكانا بصلاتهما معا يمثلان خلية من خلايا الدعوة المنتشرة في مكة حيثئذ ، وهى مرحلة بارزة فى الدعوة الإسلامية فى المرحلة المكية بقيادة الرسول ﷺ ، يتوجب على الدعاة فى كل زمان ومكان أن يقفوا عندها طويلا ، وعلى وجه الخصوص فى عصرنا الحاضر الذى بلغت فيه أجهزة التجسس على الإسلام والمسلمين أعلى ما يمكن أن يتصوره عقل بشرى من حيث العدد والعدة ، واخبت فى التخطيط ، والمهارة فى الأساليب والدقة فى التنفيذ .

## ٢- إذا جاء وقته فى المرحلة العلنية :

وأما إذا كان وقت ذلك المعلم هو التكوين فى وقت الاتصال العام - أى مرحلة الجهر بالدعوة - فقد سلك الرسول ﷺ طرقا تختلف عن الطرق التى سلكها فى المرحلة السرية ، من هذه الطرق :

أ - الحلقات الجماعية الكبيرة .

ب - والرحلات الجماعية الخاصة .

ج - وكذا تهيئة الجو العام للدعوة بالخطب والمواعظ العامة .

فقد كانت دار الأرقم بن أبى الأرقم من أكبر حلقات التكوين فى حياة الرسول ﷺ حيث كان يجتمع فيها ما يقارب الأربعين ما بين رجل وامرأة للاستماع لدروسه التكوينية الخاصة ، كما ذكر ذلك ابن إسحاق من حديث طويل قال : « فخرج عمر يوما متوشحا سيفه يريد رسول الله ﷺ ورهطا من أصحابه قد ذكر له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا ، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء » (١) .

وكذلك أسلوب الرحلات الجماعية الذى سلكه الرسول ﷺ فى تلك المرحلة التكوينية ، فقد اشتهر منها هجرتا الحبشة الأولى (٢) ، والثانية ، وهما غنيتان عن

= على : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم فلست بقاض أمرا حتى أحدث أبا طالب ، فكره رسول الله ﷺ أن يفشى عليه سره قبل أن يستعلن أمره ، فقال له : « يا على ، إذا لم تسلم فاكم ، فمكث على تلك الليلة » ، ثم إن الله أوقع فى قلب على الإسلام فأصبح غاديا إلى رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال : ما عرضت على يا محمد ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وتكفر باللات والعزى وتبرا من الأنداد » ففعل على وأسلم ، ومكث على يأتيه على خوف من أبى طالب وكم على إسلامه ولم يظهر به (١) - هـ . السير والمغازى ص ١٣٧ لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٤٣ وهى مبسطة فى مغازى ابن إسحاق بتحقيق زكار ١٨١ - ١٨٥ .

(٢) انظر تفصيل قصتى الهجرتين فى : البداية من ٣ / ص ٦٦ - ٨٤ ، وكذلك عيون الأثر لابن سيد الناس . ١١٥ / ١ .

التعريف فقد كان الصحابة رضي الله عنهم فيها يتعدون عن الجو الشركى ليخلو لهم جو البيئة الصالحة ، وتدارس القرآن وإقامة الصلوات . . . وهما أسلوبان يتوجب على الداعية الوقوف عندهما للوصول بالدعوة وحملتها إلى ما وصل الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحابة رضوان الله عليهم إليه من إيمان وصبر وشجاعة وصلاح ونجاح .

أما أسلوب الوعظ والإرشاد فقد كان شغل الرسول الشاغل سحابة نهاره كما أشرنا إلى ذلك سابقا (١) .

\* وما يدخل تحت هذا المعلم الاهتمام بمناهج التربية والتعليم ، فعندما يتولى ذلك الدعاة إلى الله يمكن أن يخرج جيل إسلامى من هذه المدارس والجامعات يحمل الدعوة قولاً وعملاً . وينشرها فى العالمين .

### ٣- إذا جاء وقته فى المرحلتين السرية والعلمية :

أما إذا جاء وقت هذا المعلم فى كلتا المرحلتين الاتصال الفردى والاتصال الجماعى فيمكن للداعية تطبيق كل الأساليب الواردة فى المرحلتين الاتصال الفردى والاتصال الجماعى .

وهذا واضح تمام الوضوح فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان للدعوة فى مرحلتها الجهرية واجهتان :

**الأولى :** علنية ومعروفة للناس وهى تمثل الأعلام من رجالات قريش الذين أسلموا ولم تخش الدعوة عليهم سطوة قريش ، فكانت تلك الواجهة تعلن للإسلام وتدعو للعمل به والدعوة إليه ، فكان لها عملها العلنى ومنهجها العلنى . وأقرب مثال على ذلك أبو بكر الصديق (٢) فمن اللحظة الأولى لإسلامه قام بدعوة أصدقائه إلى الإسلام علناً ، فأسلم على يده الكثير وكان رضي الله عنه يتولى الدفاع عن مستضعفى المسلمين بالعنق وغيره (٣) .

**الثانية :** سرية وغير علنية للناس ، أى أنها مستخفية بإسلامها وهى تمثل ضعاف المسلمين ممن لا سند لهم يدافع عنهم أمام سطوة قريش وجبروتها ، فكان عملهم كله

---

(١) مثل وقوفه صلى الله عليه وسلم على الصفا ، وذهابه إلى أماكن تجمعات الناس ولقاءاتهم وعرضه دعوته عليهم .

(٢) انظر : قصة إسلام الصديق رضي الله عنه والذين أسلموا معه فى سيرة ابن هشام ١ / ٢٤٩ - ٢٥٢ ، وهى فى بهجة المحافل ١ / ٧٥ ، وكذا فى فتح البارى ٧ / ١٠٧ .

(٣) انظر : قصة الذين اعتنقهم أبو بكر الصديق من مستضعفى المسلمين ١ / ٣١٨ من سيرة ابن هشام .

سريا ، وكانت مناهجهم كلها سرية ، والأدلة على ذلك بدهية لكل متصفح لسيرة رسول الله ﷺ المكية أدنى تصفح ، وهذه نقطة مهمة أيضاً تستوجب توقف الدعاة إلى الإسلام عندها ، وأخذها بعين الاعتبار ففى قصة خباب (١) حين دهم عمر منزل أخته وختته أبلغ دليل على هذه الواجهة السرية ، حيث اختفى خباب من عمر رضي الله عنه وما كان اختفاؤه عن جبن وعدم رغبة فى الشهادة لو حصلت ، ولكن لأن عمله كان فى منتهى السرية وكذا أمره رضي الله عنه لأبى ذر (٢) والطفيل بن عمرو الدوسى بمغادرة مكة بعد إسلامهما مباشرة دون أن يعلم بهما أحد وأن يأتياه عندما يعلمان بانتصاره رضي الله عنه .

---

(١) انظر : تفصيل قصة خباب بن الارت فى سيرة ابن هشام ١ / ٣٤٢ ، وهى فى عيون الأثر ١ / ١٢١ - ١٢٤ وفى الفتح ٧ / ١٧٧ - ١٨١ .

(٢) انظر : تفصيل قصة إسلام أبى ذر الغفارى فى فتح البارى ٧ / ١١٧٣ - ١١٧٦ ، وهى فى البداية لابن كثير ٣ / ٣٤ . وانظر قصة إسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فى سيرة ابن هشام ١ / ٣٨٢ - ٣٨٤ .

### المبحث الثالث

## فى المعلم الثالث من سيرة الرسول وهو المجابهة المسلحة لأعداء الدعوة

مكان هذا المعلم من معلمى النشر ، والتكوين ، ومفهومه :

بعد بيان مكانة المعلم الثانى الذى هو التكوين للأفراد المستجيبين على مبادئ الدعوة ، وصيغتهم بتعاليمها ، من المعلم الأول الذى هو نشر الدعوة بين الناس ، وبيان أنهما معلمان لا ينفصل بعضهما عن بعض فى عمل الداعية إلى الإسلام ، نشر فى بيان المعلم لثالث من سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة وترسيخ قواعدها ، وبسط سرائرها (١) على هذه الأرض ، وهو المجابهة المسلحة مع المعارضين لهذه الدعوة ، والذين يمثلون العقبات فى نشر تعاليم الإسلام ، وتكوين المستجيبين له على مبادئ الدعوة وتعاليمها ، ومكانة هذا المعلم من المعلمين السابقين .

إن طبيعة معلم النشر - كما قلنا سابقا - أنه يقسم الناس الذين تتمكن الجماعة من نشر الدعوة فيهم إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : هم المستجيبون لأفكار الدعوة .

والقسم الثانى : هم الذين رفضوا ما جاءت به الدعوة .

فالقسم الأول : هو الذى يختص به المعلم الثانى الذى هو التكوين على الدعوة .

والقسم الثانى : المعارضون للدعوة وهم الذين يختص بهم المعلم الثالث ، الذى هو المجابهة بالقوة لإخضاعهم لسلطان الدعوة ، بعد أن تقام الحجة البانية عليهم ، فى المعلم الأول الذى هو النشر لأفكار الدعوة وتعاليمها .

فمكانة معلم المجابهة إذن هو تسلم القسم المقابل لقسم معلم التكوين والتصدى له ، إذا أدركنا مما سبق أن الذين يختص بهم معلم التكوين هم المستجيبون للدعوة .

وعلى هذا تكون خلاصة المعالم الثلاثة من سيرة الرسول ﷺ فى بناء الجماعة :

نشر دعوة ، زائد ناس = موافق على الدعوة ، أو غير موافق .

(١) السراىق : كل ما أحاط بشئ من حائط . انظر : المعجم الوسيط ١ / ٤٢٨ .



فالموافق يخص معلم التكوين ، وغير الموافق يخص معلم المواجهة بالقوة بعد إقامة الحجة .

### المواجهة فى العهدين :

ومن خلال النظر فى سيرة الرسول ﷺ نخرج بقسمين رئيسين لهذه السيرة المباركة .  
قسم بدأ من البعثة إلى الهجرة .

والقسم الآخر بدأ من استقرار الرسول ﷺ فى المدينة المنورة إلى أن توفاه الله تعالى .

ومن أبرز معالم قسم ما قبل الهجرة أنه نشر للدعوة ، وتكوين عليها ، ومنع لآى مواجهة ابتداء أو لرد اعتداء ، وكان شعار ذلك القسم قوله تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ (١١) ﴿ الْمُنْزِلُ ﴾ ، ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النِّعْمَةِ وَمَهْلُكُمْ قَلِيلًا ﴾ (١١) ﴿ الْمَزْمَل ﴾ ، ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [ النساء : ٧٧ ] .

وقوله ﷺ لآل ياسر : « صبرا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » (١) الحديث .

إنه شعار الابتعاد عن ساحة الصدام ، والتفرغ للدعوة ، والتكوين عليها ، وجعل المواجهة فى هذه المرحلة بين رب الدعوة مباشرة ، وأعدائها ، وهذه المهادة والمسألة وعدم المواجهة من قبل الجماعة ولو على سبيل الدفاع عن النفس ، لا تعنى أنها صفة أصيلة فى الجماعة الإسلامية ، بل الصفة الأصيلة للجماعة هى التى يمثلها قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ (٣٩) ﴿ الشورى ﴾ ، إنما تعنى أنها صفة تفرضها المراحل التكوينية للدعوات .

إن دعوة لا تكون هذه صفتها وذلك شعارها فى مراحلها التكوينية فهى دعوة مقضى عليها فى مهدها ، ولو كان عدم الالتزام بهذه الصفة ممكنا لآى دعوة فى مرحلتها التكوينية ، لما اتصفت بها الدعوة الإسلامية فى صدرها الأول ، وهى الدعوة المعصومة والموجهة من العليم الخبير ، ولما تحمل الرسول ﷺ وصحابته كل أنواع الأذى والمهانة فى مكة المكرمة ، وهم صابرون ولم يحرك أحد منهم ساكنا ، فى الوقت الذى تهتك أعراض شريفة وتسيل دماء ذكية ، ويشرد رجال لا يمر الذباب على أنوفهم عزة وكرامة ،

---

(١) أخرجه أحمد تحقيق شاكر ١ / ٣٤٩ وهو عند ابن إسحاق ١ / ٢٠٣ ، والحاكم ٣ / ٣٨٣ - ٣٨٩ ، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة للغزالى ص ١٠٧ : ( وقال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ) . وسيرة ابن هشام ١ / ٣٢٠ وهى فى الروض الأنف ٣ / ٢٠١ .

وهى الصفة التى امتدت إلى القسم الثانى من حياة الرسول ﷺ فيما بعد الهجرة ، ولكنها لم تكن شعار ذلك القسم البارز كما كانت فى القسم الأول من حياته ﷺ ، بل شعار ذلك القسم وصفته البارزة هى قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ [ التوبة : ١٤ ] ، ﴿ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [ النساء : ٩١ ] ، ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [ الانفال : ٣٩ ] .

أما صفة المهادنة والمسالمة فلم تكن ظاهرة ظهورها فى عهد ما قبل الهجرة ، ولكنك تلاحظها كثيرا فى العهد الذى بعد الهجرة ، فمع جبهة اليهود كانت المهادنة ظاهرة فى أول الامر ، قال تعالى : ﴿ وَذُكِّرْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٠٩) [ البقرة ] .

فالآية صريحة فى أمر الجماعة الإسلامية فى المدينة المنورة بالعفو والصفح عن استفزازات اليهود ، ومصابرتهم حتى يأتى أمر الله تعالى بمواجهتهم .

وكذلك مع جبهة المنافقين كانت المهادنة واضحة كثيرا ، وإلى زمن طويل من العهد المدنى ، وأمثلة تلك المهادنة كثيرة ، ففى غزوة بنى المصطلق وهى فى السنة السادسة على بعض الروايات حدثت قصة : ﴿ لَئِنْ رُجِعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ ... ﴾ (١) والتى كادت أن تحدث خلافا كبيرا لولا أن تغاضى رسول الله ﷺ عنها ومررها ، كما جاء ذلك فى البخارى عن جابر بن عبد الله ؓ قال : كنا فى غزاة ... فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ... فسمع بذلك عبد الله بن أبى فقال : فعلوها ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ...

فقام عمر فقال : يا رسول الله ، دعنى أضرب عنق هذا المنافق . فقال النبى ﷺ : دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه (٢) .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال : يا نبى الله ، والله لقد رحمت فى ساعة منكرا ما كنت تروح فى مثلها . فقال له رسول الله ﷺ : « أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال :

(١) انظر : تفاصيل القصة فى سيرة ابن هشام ٢ / ٢٩١ وهى فى البداية ٤ / ١٥٧ .

(٢) أخرجه البخارى ٦ / ١٩١ ، ١٩٢ ، وهو فى الفتح ٨ / ٦٤٨ .

وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : « عبد الله بن أبي » قال : وما قال ؟ قال : « زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » . قال : فأنت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز . ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به ، فو الله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا (١) .

فهذه القصة وغيرها تدل على امتداد صفة المهادنة إلى العهد المدني ، وتجعل منها حكما إسلاميا يتكرر كلما برزت علته في أى زمان ومكان ، والجماعة الإسلامية مطالبة بالالتزام بهذه الصفة كلما أحست قيادتها أن المهادنة أكثر مصلحة للجماعة من المواجهة . والجماعة فى نفس الوقت غير مفرقة بين العهدين المكي والمدني من حياة الرسول ﷺ لما أسلفنا .

ولأن صفة الجهاد أى المواجهة فى الإسلام لا يعلنها إلا إمام المسلمين بعد أن يتأكد من قوة جيشه واستعداده .

فعليه لا يحق لأى جماعة من المسلمين أن تجابه مادامت لم تصل إلى الحكم ولو الجزء ، ومادامت لم تصل إلى الحكم والإمامة ، فهى فى مرحلة العهد المكي ، وعليها أن تلتزم بأحكامه من حيث المهادنة والمسالمة وعدم المواجهة مع الباطل بالقوة ، بل حتى لو وصلت إلى الإمام وأعلنتها فمن حق الإمام أن يهادن الجبهة المحاربة إن رأى المصلحة فى ذلك ، لما أوردنا (٢) من مهادنة الرسول ﷺ لجبهة المنافقين واليهود فى المدينة فى الوقت الذى كان على رأس دولة تهابها أكثر الجزيرة العربية .

والذى يحق لأى جماعة فعله بعد أن تدرس كل الجوانب المتعلقة به هو حرب العصابات والمناوشات الفردية ، كما هو واضح من سيرة الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة ، فقد كان يناوش قريشا من بعيد بواسطة سرايا صغيرة .

متى تكون المواجهة ؟ :

إن تحديد نقطة الانطلاق فى معلم المواجهة مع الباطل خاصة من خصوصيات القيادة العليا فى الجماعة القائمة على الدعوة فى أى زمان ومكان لكونها المالكة لزام الامر والعامة بكل المعلومات التى تعطى الإشارة بذلك .

(١) انظر تفصيل القصة كاملة فى سيرة ابن هشام ٢ / ٢٨٩ ، وفى البداية والنهاية لابن كثير (٤ / ١٥٧) .

(٢) انظر ص ١٢٩ من هذا الكتاب .

فهى التى تعلم قدرة الجماعة واستعدادها لهذه المرحلة .

وهى التى تعلم تقديرات وإمكانات واستعدادات الجبهة المقابلة .

والجماعة الإسلامية الأولى بقيادة الرسول ﷺ وتوجيه الرب سبحانه وتعالى وهو الوجه الأعلى للدعوة وقتها، من مثل قول الرب سبحانه: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر] ، ﴿ أَعِزَّ عَلَيَّ مَا يَقُولُونَ وَأُهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾ [الزمل] ، ﴿ كَفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [النساء : ٧٧] .

ثم استند عليه الصلاة والسلام فى اتخاذ قرار المواجهة فى المدينة المنورة على مثل قوله تعالى : ﴿ أَذْنُ لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج] ، ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ [البقرة : ٢١٦] .

وبما أن الوحى قد انقطع بموت رسول الله ﷺ إلا أن الشريعة قد اكتملت قبل انقطاع الوحى ولقاء الرسول ﷺ ربه، فمن خلال سيرة الرسول ﷺ واستطلاع الأحكام الإسلامية فى هذا الجانب، سنكتب بعض التوجيهات الإسلامية لتحديد نقطة الانطلاق فى المواجهة مع الباطل .

أولا : استقلالية الأرض التى تقف عليها الجماعة :

١ - مفهوم الاستقلالية :

أعنى باستقلالية الأرض التى تقف عليها الجماعة ، أن تكون الجماعة هى صاحبة الأرض التى تقف عليها وتنطلق منها ولها السيطرة عليها ، وفى الوقت الذى لا تتمكن الجماعة من إخضاع الأرض التى سوف تنطلق منها للمواجهة ، ومن إحكام سيطرتها عليها ، ومن أنها مستوفية لكل الشروط المساعدة على المواجهة ، من حيث الاكتفاء الاقتصادى، وتأمين طرق الاتصال الخارجى، ولها من وسائل الحماية الطبيعية ما يكفى ، فى الوقت الذى لا تتمكن الجماعة من ذلك كله لا يحق لها أن تحدد ساعة المواجهة مع الباطل ، بل لا وتفكر فيها ، وعليها أن تلتزم بمهادنة ومسألة العهد المكى من حياة الرسول ﷺ وفى الوقت نفسه تبحث عن الأرض المطلوبة .

٢ - عاقبة تحديد المواجهة قبل امتلاك الأرض :

إن الجماعة التى تحدد المواجهة مع السلطة القابضة على الأرض التى تقف عليها الجماعة نفسها جماعة تعبت بقوتها وتهلك أفرادها بأقل كلفة وأيسر خسارة لتلك السلطة المهيمنة على تلك الأرض .

وهى جماعة مقضى عليها بالفشل والتقهقر ، أو الهلاك المحقق عند الاستمرار فى المواجهة ، وهى جماعة بعيدة عن النهج النبوى والتوجيه الربانى .

والأمثلة القرية على فشل ذلك النهج المتعجل الثمرة قبل نضوجها ، قضية شعب إريتريا مع إثيوبيا ، وقضية مسلمى الفلبين مع حكومة الفلبين وغيرهما من القضايا المماثلة . فقضية شعب إريتريا : هى أن قيادته أدخلته فى مواجهة عسكرية مع حكومة إثيوبيا ، وحكومة إثيوبيا هى القابضة على أرض ذلك الشعب والمسيطرة عليها ، فكانت النتيجة أن قتل وشرد أكثر ذلك الشعب ، وانسحبت تلك القيادة تجر وراءها ذبول الفشل والخسارة .

وكذلك قضية مسلمى الفلبين ، يقتلون جنديا واحداً من جنود الحكومة التى تحكم الأرض التى يقطنها المسلمون ، فتبديد الحكومة الفاجرة قرية أو عددا من قرى المسلمين . كل ذلك لأن قيادة المسلمين حددت نقطة المواجهة مع تلك الحكومة قبل أن تملك الأرض التى سوف تنطلق منها إلى تلك المواجهة .

### ٣ - البحث عن الأرض فى سيرة الرسول ﷺ :

منذ اللحظات الأولى من بعثة الرسول ﷺ وهو يبحث عن الأرض التى تصلح للانطلاق منها للمواجهة ، وعن القوم الذين يمكن أن يحموا ظهره فى ساعة المواجهة .

أ - ففى أمره ﷺ لصحابته بالهجرة إلى الحبشة إشارة إلى بحثه ﷺ عن تلك الأرض (١) .

ب - وفى خروجه ﷺ بنفسه إلى الطائف كان فيه إشارة صريحة إلى بحثه عن تلك الأرض التى تصلح للمواجهة فيها . كما جاء فى صحيح البخارى وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : « هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ فقال ﷺ : « لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منه يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا بقرن الثعالب » (٢) الحديث .

---

(١) انظر تفصيل الهجرتين إلى الحبشة فى البداية والنهاية ٣ / ٦٦ ، وهى فى سيرة ابن إسحاق . تحقيق سهيل زكار ١٧٤ ، وهى فى سيرة ابن هشام ١ / ٣٢٢ - ٣٤٠ .

(٢) أخرجه البخارى ٤ / ١٣٩ ، ومسلم ٣ / ١٤٢٠ ، وانظر أيضا لابن إسحاق فى السيرة ١ / ٤١٩ ، وبهجة المحافل ١ / ١٢٣ . وقال صاحب بهجة المحافل : ( وقد تعدد الحديث فى صحيح مسلم من رواية عائشة عنه ﷺ أن هذا الموقف بالطائف أشد ما لقي فى ذلك ) . ١ . هـ . وقال محمد فؤاد عبد الباقي فى تعليقه على صحيح مسلم ٣ / ١٤٢٠ : وقرن الثعالب هو قرن المنازل وهو ميقات أهل نجد وهو على مرحلتين من مكة .

ج - وفي سؤاله ﷺ عن الكم والكيف في القبائل التي يعرض نفسه ودعوته عليها إشارة إلى أنه كان يبحث عن أرض وحماية ذات صفات معينة وشروط معلومة .

قال الحافظ ابن كثير - من حديث طويل عن ابن عباس عن العباس ؓ : فأتى بكر ابن وائل فقال : « ممن القوم ؟ قالوا : من بكر بن وائل ... » ، قال : « فكيف المنعة ؟ » قالوا : لا منعة ، جاورنا فارس فنحن لا نتمنع منهم ولا نجير عليهم ... قالوا : ومن أنت ؟ قال : « أنا رسول الله » ثم انطلق ... » (١) .

فالحديث الشريف واضح في طلب الرسول ﷺ لأرض ومنعة معينة ذات شروط معلومة وذلك من خلال أسئلته الموجهة إلى تلك القبيلة ، فلما لم تتوافر له شروطه تركهم وانطلق إلى غيرهم .

د - وعدم قبوله ﷺ لشروط القبائل واحترازاتها عندما كان يعرض نفسه عليها دليل واضح أيضاً على أنه كان يبحث عن أرض ومنعة تكون له وحده السيطرة عليها ، ولله وحده حق التوجيه الأعلى لكل أمورها وأحوالها .

يؤكد هذا المعنى الحوار الذي دار بينه ﷺ وبين القوم من بنى شيبان ، وهو الحوار الذي جاء في حديث ابن عباس الطويل عن علي بن أبي طالب ؓ قال : لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى ... فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر أنه رسول الله .

ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال : إلام تدعو يا أخا قريش ؟ فتقدم رسول الله ﷺ المجلس وقام أبو بكر يظله بثوبه فقال رسول الله ﷺ : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله وأن تؤوونى وتنصرونى حتى أؤدى عن الله الذى أمرنى به » .

فقال المثني : قد سمعت مقاتلك واستحسنيت قولك يا أخا قريش وأعجبني ما

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ١٦٠ ، وهو في البداية والنهاية ٣ / ١٤٠ . ويؤكد حديث ابن عباس عن علي بن أبي طالب ؓ قال : لما أمر الله رسوله أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى ... والذى قال فيه الزرقاني : أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن . انظر : المواهب ١ / ٣٠٩ ، والسيرة النبوية لابن كثير ٢ / ١٦٣ ، وكذا حديث جابر ؓ عند أحمد وأبي داود والترمذى وابن ماجه قال : كان النبي ﷺ يعرض نفسه على الناس بالوقت فيقول : « هل من رجل يحملنى إلى قومه ؟ » ... والذى قال فيه الترمذى : حسن صحيح . انظر : مسند أحمد ٣ / ٣٢٢ ، وأبي داود ٤ / ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، والترمذى ٥ / ١٨٤ ، وابن ماجه ١ / ٧٣ ، وهو في البداية والنهاية ٣ / ١٤١ ، والسيرة النبوية ١ / ١٧١ لابن كثير وكذا في المواهب اللدنية ١ / ٣٠٩ .

تكلمت به والجواب هانئ بن قبيصة ، وإنما نزلنا بين صريين (١) أحدهما اليمامة والآخره السماوة . فقال رسول الله ﷺ : وما هذا الصريان ؟ .

فقال له أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهد أخذنا علينا كسرى ألا نحدث حدثا ولا نؤوى محدثا ، وهل هذا الأمر الذى تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك ، فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول ، فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى بلاد العرب فعلنا .

فقال رسول الله ﷺ : « ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق ، إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه » ... ثم نهض ... الحديث (٢) .

فالحديث واضح أيضاً فى طلب الأرض والمنعة غير المشروطة بشروط أو احترازات وصدق رسول الله ﷺ إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه فلا يمكن أن ينصر هذا الدين من أخذ بعضه وترك بعضه الآخر .

هـ - وأخيراً وجد رسول الله ﷺ ضالته مستكملة الشروط والصفات ، وجدها فكانت المدينة المنورة ، وجد طلبه كاملاً بعد أن رفع إلى الملأ الأعلى أكف الضراعة فجاء الأمر الكريم بالدعاء المبارك : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيْرًا ﴾ [الإسراء] .

وإنها لنقطة هامة يجب على الدعاة الوقوف عندها فى كل حركة ولحظة من دعوتهم إلى الله تعالى ، تلك النقطة هى العودة إلى قاضى الحاجات مع بذل الأسباب البشرية للوصول إلى الحاجات ، لقد سبق فى علم الرب تعالى شأنه أن الأرض صالحة لانطلاق الدعوة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ هى المدينة المنورة ، ولكنه سبحانه ترك السيد الرسول ﷺ يبذل من الأسباب البشرية للوصول إلى مطالبها الكثير ، والتى أشرنا إلى طرف منها (٣) .

وذلك ليس للدعاة الإسلاميين ذلك المنهج القويم ، تركه يبذل من الجهد الكثير

(١) الصريين ثنية صرى وهو كل ماء مجتمع . انظر : لسان العرب ١٩ / ١٩٢ .

(٢) انظر : الزرقانى على المواهب للقسطلانى ١ / ٣٠٩ وقال : أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن ، وهو فى السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ١٦٣ - ١٦٩ . وهو مؤيد بحديث جابر المذكور بهامش ص ١٣٤ من الكتاب والذى قال فيه الترمذى : حديث حسن صحيح ، فانظر تخريجه هناك .

(٣) انظر ص ١٣٣ ، ١٣٤ من هذا الكتاب .

ويتحمل من العناء الكثير حتى ضاقت به الأرض بما رحبت دون أن يستقر رأيه على المكان المناسب لتلك الانطلاقة المباركة ، وأخيراً وبعد أن نفذت كل حيلة لذلك الرسول العظيم ، وبعد أن عبر لربه سبحانه عن نقادها في صورة ذلك الدعاء الفياض بعد عودته من الطائف ، أرشده سبحانه وتعالى إلى مفتاح ذلك المطلب ، ذلك المفتاح هو التوجه إلى قاضى الحاجات بطلب الهداية والإرشاد منه سبحانه ، فكان التوجه من الرسول العظيم ، وكانت الهداية إلى المفتاح : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا ﴾ [ الإسراء ] .

إنه مفتاح فى برقية لا تتعدى كلماتها سطرًا واحداً كان من بعدها مباشرة خروجه ﷺ المخرج المبارك بالهجرة ، ودخوله المدخل المبارك إلى المدينة المنورة ، ونصره النصر المؤزر بعد ذلك ، النصر الذى كان بعده الظهور والعزة للإسلام ولبنى الإسلام .

قال ابن إسحاق : ( فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز مواعده له خرج رسول الله ﷺ فى الموسم الذى لقيه فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع فى كل موسم فيبينا هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً ، فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم رسول الله ﷺ قال لهم : « من أنتم ؟ » قالوا : نفر من الخزرج . قال : « أمن موالى يهود ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفتجلسون أكلمكم ؟ » قالوا : بلى ، فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، ... فلما كلم رسول الله ، أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم، تعلمون والله أنه النبى الذى توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم ... ) (١) .

ثم كانت البيعة الأولى ، ثم الثانية فكانت الأرض بكل شروطها ، وكانت المنعة بكل لوازمها ، ثم كانت الهجرة النبوية العظيمة ، وبسطت الدعوة الإسلامية سلطانها على المدينة المنورة ، ثم كانت الانطلاقة من هناك ، من المدينة المنورة لمواجهة الباطل بقوة السلاح ، كانت الانطلاقة بعد أن حصلت الأرض التى وقفت عليها الدعوة الإسلامية ، والجماعة الإسلامية ، فكانت الفتوح بعد ذلك وكان النصر ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٢٨ - ٤٣٠ ، وهو فى البداية ٣ / ١٤٨ ، ١٤٩ ، وقد ورد هذا المعنى فى رواية ابن عباس عن على بن أبى طالب ؓ فى الحديث السابق الذى أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقى بإسناد حسن .



إن المقدمة الأولى لنقطة الانطلاق إلى الباطل لنواجهه هي أن توجد الأرض المكتملة للشروط التي أشرنا إليها ، وبدونها لا مواجهة ، بل مسالمة وبحث عن الأرض حتى توجد والله المستعان وهو ولي التوفيق .

ثانيا : اكتمال العدد :

ونعني باكتمال العدد أن يصل عدد أفراد الجماعة الذين سيدخلون المعركة رقما معيناً ونسبة معينة، من الجيش المقابل، وسأحدد ذلك الرقم وتلك النسبة من النصوص الشرعية التالية :

١ - مفهوم العدد من آيتي المصابرة :

من قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦) ﴾ [ الأنفال ] .

نفقه من هاتين الآيتين ما يلي :

أ - أنهما تبدآن بأمر النبي ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال، وهو إشارة إلى المواجهة مع الباطل .

ب - ثم تحدد الآيتان ضابطا دقيقا للقيادة الإسلامية يحدد لها بالأرقام متى يمكنها دخول المعركة مع العدو ؟ ومتى لا يمكنها ذلك ؟ وهذا الضابط هو متى بلغ عدد الجيش الإسلامي نسبة واحد إلى اثنين من الجيش المعادي يجب على الجماعة دخول المعركة ، وهو أقل معدل ، ومتى بلغ عدد الجيش الإسلامي نسبة واحد إلى عشرة من الجيش المعادي يجوز للجماعة دخول المعركة ويجوز لها عدم دخولها . وهو أعلى معدل .

والذي يقرر النسبة الأولى أو الثانية هو هبوط المستوى الإيماني في الجيش الإسلامي أو ارتفاعه .

ج - وأن الآيتين تبيان لنا أن الجيش الإسلامي قد يكون في مرحلة من مراحله على درجة عالية من الإيمان والصبر والنظام والتنظيم فيعدل الواحد منه عشرة من الجيش المقابل .

وقد يكون في مرحلة من ضعف الإيمان والصبر وارتجال الأمور فيعدل الواحد منه اثنين من الجيش المعادي .

وأحب أن أشير هنا أن فقهاء هذا من الآيتين لا يعنى أننا نتجاهل جانب الناسخ والمنسوخ فى القرآن بل هو ظاهر الآيتين .

## ٢ - الأحاديث النبوية فى تحديد المواجهة :

حدد رسول الله ﷺ أرقاماً مختلفة للجيش التى لا تغلب من جهة النقص فى العدد مهما كان عدد الجيش المعادى أو ضخامته .

أخرج أحمد - رحمه الله - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعمائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة » (١) .

## ٣ - سيرته الشريفة تحدد عدد المواجهة :

ودخوله ﷺ معركة بدر الكبرى بثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً فيه إشارة إلى العدد الذى يمكن للقيادة الإسلامية فى الجماعة أن تحدد بموجبه ساعة المواجهة مع الباطل . أخرج البخارى عن البراء (رضي الله عنه) قوله : « حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا النهر بضعة عشر وثلاثمائة » .

## ٤ - تنبؤ عمر رضي الله عنه :

عندما حاول المشركون ضربه بعد إسلامه بالعدد الذى يمكن للجماعة الإسلامية أن تواجه به القوة الكافرة وهو ثلاثمائة رجل . قال ابن كثير فى البداية - من حديث طويل عن قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه . . . « افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا » (٢) .

وذكرى هنا لقول عمر هذا ليس على أنه نص قاطع فى تحديد نقطة الانطلاق فى المواجهة ولكن لأنه تنبؤ أكدته النقطة السابقة وهو مواجهة الرسول ﷺ المشركين فى بدر بهذا العدد ، وهى الغزوة التى تعتبر نقطة البداية فى المواجهة العسكرية مع الكفر ، حيث إن كل ما سبقها من سرايا وغارات يعتبر مقدمات وإرهاصات لها .

## ٥ - وخلاصة معلم المواجهة :

أن تحديد بدء المواجهة من خصوصيات القيادة العليا للجماعة ، وأنها لا تكون إلا

(١) مسند أحمد بتحقيق شاكر ٤ / ٢٣٧ ، وقال شاكر : إسناده صحيح ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه ، ونقل المناوى فى الفيض قول ابن القطان فى تصحيح الحديث . انظر : فيض القدير ٣ / ٤٧٤ .

(٢) صحيح البخارى المجلس الأعلى ٦ / ٢٣٩ ، وفى مسند أحمد ٤ / ٢٩١ ، وابن ماجه ٢ / ٩٤٤ .

(٣) البداية ٣ / ٨٢ ، وقال الحافظ ابن كثير عند سند هذا الحديث : وهذا إسناده جيد قوى .

بعد التمكن من الأرض الصالحة التي سيكون منها ذلك الانطلاق ، واكتمال العدد الذى ستكون به المواجهة ، فعلى الدعاة أن يدركوا هذا المعلم جيداً .  
والله الموفق إلى ما فيه الصواب .

## المبحث الرابع فى المعلم الرابع من سيرة الرسول وهو السرية فى عمل بناء الجماعة

مفهوم السرية :

بعد أن بينت فى المعالم الثلاثة من سيرة الرسول ﷺ الكيفية التى يمكن بموجبها الوصول إلى بناء هيكل الجماعة ، التى سيكون على عاتقها إعلان جماعة المسلمين ورفع رايثها ، أبين العوامل التى يمكن بموجبها تمرير عملية بناء ذلك الهيكل بسلام ، وتتلخص هذه العوامل فى المعالم الثلاثة الآتية ، والتى هى :

١ - السرية فى حركة بناء الجماعة .

٢ - الصبر على متاعب الطريق .

٣ - الابتعاد عن ساحة المعركة مع الباطل فى المرحلتين الأولين : النشر والتكوين .

ولنبداً بالمعلم الأول : السرية . وترتيبه الرابع فى معالم سيرة الرسول ﷺ ونقصد بالسرية فى عمل بناء الجماعة : أن تنحصر معلومات خطة العمل فى محيط القيادة العامة للعمل ، وأن يجهل الأشخاص - فى العمل السرى - بعضهم بعضاً من حيث التكاليف والمهام ، وأن يعلم كل واحد فى العمل مهمته دون غيره فلا تخرج معلومات مهام عمرو إلى زيد بحال من الأحوال ، وهذا واضح من حياة الرسول ﷺ فى دعوته .

أ - ففى احتفاظ الرب سبحانه وتعالى بالقرآن الكريم كاملاً فى السماء الدنيا ، ثم تنزيله شيئاً فشيئاً إلى الرسول ﷺ والمؤمنين وهو الذى يمثل خطة العمل للدعوة الأولى ، دليل واضح على وجوب احتفاظ القيادة العليا فى الجماعة بخطة العمل ككل ثم إنزالها إلى القواعد بتدرج وسرية كاملة .

ب - وفى قصة هجرته ﷺ إلى المدينة المنورة دليل واضح على ما نقول من حيث حصر خطة العمل كافة فى نطاق القيادة ثم توزيع مهام العمل على أفراد ، كل واحد فى مهمة خاصة لا علاقة لها بمهمة غيره .

فعلى بن أبى طالب على الأمانات والودائع ، وعبد الله بن أبى بكر على الأخبار

وحركة العدو، وأسماء بنت أبى بكر على جانب الطعام ، وعامر بن فهيرة على الأغنام ، وعبد الله بن أريقط على الراحلتين ودلالة الطريق . . . إلخ ، كما جاء ذلك فى قصة هجرته ﷺ (١) .

ج - وكذا قصة سرية عبد الله بن جحش للإتيان بأخبار قريش ، من حيث جعل خطة عمل السرية بيده ومن كونها مخفية حتى على عبد الله نفسه حتى ابتعد عن المدينة مسافة طويلة ، وكذا غيرها من القصص المماثلة .

إن الوقت الذى توفق الجماعة الإسلامية فيه إلى السير على الخطوط التى رسمها رسول الله ﷺ - وهو يبنى جماعته الأولى والتى كان على عاتقها نصر الإسلام - تكون سائرة على النهج القويم ، وفى الوقت الذى تتنكب طريقه ﷺ تكون معرضة للزلزل والضلال .

والسرية فى العمل من أهم الخطوط التى رسمها ﷺ ليسيروا عليها الدعاة إلى الله تعالى .

### الخلط فى مفهوم السرية :

وفى مجال السرية فى عمل بناء الجماعة الإسلامية يخلط كثير من الدعاة إلى الإسلام فى هذه الأيام خلطاً كثيراً .

فمنهم من أدخل ما يجب الجهر به من تعاليم الإسلام ، فى نطاق ما يجب الإسرار به وكتمانه ، ومنهم من عكس الأمر ، فهو يثرثر بكل شئ وفى كل مكان ولأى إنسان .

### القسم الأول :

ف نجد الأول لا يخوض فى موضوع من موضوعات الدعوة ، ويبتعد عن كل ما يشير إلى ذلك بل تجدد بعضهم أخذ يتنكر لكثير من مظاهر الدين الإسلامى . ثم أخذ يتشبه ببعض التقاليد غير الإسلامية ، لإبعاد شبهة التزمت عنه وعن الدعوة التى يحملها بزعمه ، ولإخفاء شخصيته الحركية .

وهذا أمر خطير على الشخص نفسه من حيث وقوعه فى الإثم ، وخطير على دعوته ، ومن حيث أن الداعية المسلم يدعو الناس بقوله وفعله وسلوكه ، فإذا سكت عما يجب الجهر به من الدعوة ، وتجرد من التطبيق العملى لمظاهر الإسلام وتعاليمه فماذا بقى ؟ إنه تجرد عما يدل على إسلامه كفرد ، ونسف دعوته من حيث القدوة ،

(١) انظر تفصيل هجرته ﷺ فى البداية ٣ / ١٧٧ - ١٩٦ .

وضرب الجماعة التى ينتمى إليها من حيث تمثيله لها ، وتقمصه شخصيتها الإسلامية ، فلهؤلاء نقول : ليس من السرية بحال كتمان الدعوة الإسلامية كفكرة وتعاليم ، بل يجب أن يعرض على الناس هذا الدين عرضاً شيقاً يبرز محاسنه ، كما يبرز مساوئ غيره من المبادئ الهدامة أو الفكر المنحرف ، ولا يجوز بحال أن يكتفى العلم ، فالله سبحانه وتعالى قد أخذ الميثاق على أهل العلم ليبينوا ذلك العلم وينشروه بين الناس .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١٨٧) [ آل عمران ] .

وقال النبى ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » (١) .

وهذا ما تؤكد به الآية القرآنية فى وعيد شديد مخيف : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٦٠) [ البقرة ] .

وهكذا يشترط فى توبة هؤلاء الصلاح والتبين وهذا مما لا يخفى على من له أدنى بصيرة بهذا الدين ، والآية السابقة وإن كان بعض أهل العلم قال :

« نزلت فى أهل الكتاب كتموا صفة محمد ﷺ » كما نقل ذلك الحافظ ابن كثير (٢) : عن أبى العالية ، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .  
ففى ذلك المجال العلمى لا تجوز السرية ولا يباح الكتمان .

وكذلك الأمر بالنسبة لتغيير المنكر إذا لم يوجد من يغيره البتة باللسان فلا يكفى فيه التغيير بالقلب ، بل لا بد من إقامة الحجة على أهل الباطل وأصحاب البدع والأهواء ، فأحمد بن حنبل - رحمه الله - حينما رأى أن العلماء فى عصره قد اكتفوا فى تغيير المنكر بقلوبهم فى فتنه خلق القرآن ، لم يسعه إلا أن يجهر برأيه ، وأن يقول كلمة الحق ، مدوية غير مبال بما يصيبه فى سبيلها (٣) .

(١) أخرجه أحمد فى مواضع عدة منها ١ / ٤٣١ ، ٢ / ٢٦٣ ، والترمذى ٥ / ٢٩ - ٣٠ ، وقال : حديث حسن ، وأبو داود ٣ / ٣٢١ ، وابن ماجة مقدمه ص ٩٧ ، وأشار إليه السيوطى فى جامعه بالصحة . ونقل المناوى تصحيح الحاكم للحديث وموافقة الذهبي عليه فى الكبائر : فىض القدير ٦ / ١٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ / ٢٠٠ .

(٣) انظر : أحمد بن حنبل إمام أهل السنة للأستاذ عبد الحلیم الجندى ٤٤٩ - ٤٦٩ .

وكم شهد التاريخ قديما وحديثا من أمثال أحمد بن حنبل الذين قالوا كلمة الحق ولم تأخذهم في الله لومة لائم، وكثير منهم فاز بالشهادة بسبب ذلك ، والرسول ﷺ يقول : « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » (١) .

ويقول : « سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهيه فقتله » (٢) .

### القسم الثاني :

والقسم الثاني من الذين خلطوا بين ما يجب إظهاره وبين ما يجب إسراره، هو الذى يثرثر بكل شيء ، وفى أى مكان ، ولأى إنسان ، ونقول لهؤلاء لا تكونوا من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٣) [ النساء ] .

فإن هؤلاء قوم لم يألفوا النظام ، ولم تتشرب نفوسهم تعاليم الإسلام ، ولم تدرك عقولهم أثر الإشاعات فى خلخلة الصفوف ، وما يترتب عليها من نتائج سلبية قد تكون مدمرة ؛ لأنهم لم يرتقوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا حقيقة الموقف .

إن كلمة عابرة وفلته لسان قد تجر من العواقب على الشخص نفسه وعلى جماعته كلها ما لم يخطر له ببال .

وقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على الكتمان فى أحاديث كثيرة، مثل قوله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » (٣) .

وقوله ﷺ : « استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإن كل ذى نعمة محسود » (٤) . وعلى كلا الحالين فهنا إفراط وهناك تفريط ، والأفضل أن ينظر الطرفان فى أمرها ،

(١) أحمد فى مواضع عدة منها ١٩/٣ ، وابن ماجه ١٣٢٩/٢ ، والنسائى ١٦١/٧ ، والترمذى ٤/٤٧١ ، وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه ، ونقل المناوى تصحيحه فى الفيض عن الضياء والمنذرى ، انظر : فيض القدير ٣٠/٣١ ، وأخرجه أبو داود ٤/١٢٤ .  
(٢) وذكره السيوطى فى الجامع الصغير وصححه وقال المناوى فى شرحه : قال الحاكم : صحيح ، وتعقبه الذهبي بأن فى سنده حفيظ الصغار لا يعرفه الذهبى .

(٣) أخرجه البخارى ٨/١٢٥ ، ومسلم ٦٨/١ ، وهو فى الفتح ٣٠٨/١١ ، وابن ماجه ١٣١٣/٢ ، والترمذى ٤/٣٤٥ ، وأحمد ٥/٢٤ ، والدارمى ٢/٩٨ .

(٤) أخرجه السيوطى فى الفتح الكبير ١/١٧٩ ، وقال عنه المناوى فى فيض القدير : ضعيف ، ونقل قول العراقى فى تضعيفه ١/٤٩٣ ، وأشار السيوطى أنه قد خرجه العقيلي فى الضعفاء وابن عدى فى الكامل والطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى شعب الإيمان ، ولم أطلع على ذلك .

بأن يكون لهما ميزان يفرقون به بين ما يجب أن يكتسب ، وما يجب أن يجهر به فى خطة العمل الجماعى للدعوة الإسلامية .

والميزان فى نظرى والله أعلم بالصواب : أن كل عمل ينقسم إلى قسمين من حيث وجوده فى الحياة : والعمل الإسلامى واحد من هذه الأعمال فهو ينقسم إلى قسمين :

أ - قسم تنظيمى وهو الذى يجب أن يكون سرا .

ب - قسم فكرى وروحى وهو الذى يجب أن يكون جهرا - ضمن خطة مدروسة .

فهذا التقسيم فى حياة الرسول ﷺ ( خاصة العهد المكي ) واضح كل الوضوح .

ففى الوقت الذى ينظم فيه ﷺ خلايا العمل السرى ، الذى يجرى فى دار الأرقم ابن أبى الأرقم ، وغيرها من الخلايا الأخرى ، مثل مهمة خباب بن الارت فى بيت سعيد بن زيد ختن عمر بن الخطاب ، وما دار مع عمر نفسه فى هذا البيت كما أشرنا إلى ذلك سابقا (١) ، ومثل ما حصل بين الرسول ﷺ وبين أهل بيعة العقبة الأولى والثانية . . . فهذا ما نقصده من العمل التنظيمى الذى يجب إسراره وكتمانه .

وفى نفس الوقت كان يقف ﷺ فى أسواق الناس وأنديتهم مناديا : « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » (٢) وكذلك صلاته فى المسجد الحرام على رؤوس الأشهاد ، وهذا هو الذى قصدناه فى القسم الثانى الذى يجب الصدع به وإعلانه للناس ، وشواهد (٣) هذا كثيرة فى مسيرته ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم .

### فهم قاصر للسرية :

وقد فهم أكثر الناس أن سرية الحركة فى حياة الرسول ﷺ مرحلة مرتبطة بظروف معينة ومحدودة بزمان معين ، حتى حددها أكثر المؤرخين (٤) بثلاث سنوات فقط .

والحقيقة أن السرية صفة لدعوة الرسول ﷺ ملازمة لها فى كل أطوارها وعلى امتداد حياة الرسول ﷺ يروى بوضوح الجانب السرى فيما تجب فيه السرية فى العهدين المكي والمدنى .

وإذا كانت أحداث العهد المكي واضحة فى صفة السرية ، فإن العهد المدنى أكثر

(١) انظر ص ١٢٤ من الكتاب .

(٢) سبق تخريجه ص ١١٧ من الكتاب .

(٣) مثل وقوفه على الصفا ومناداته الناس ، ومشيه فى أسواق الناس يدعوهم إلى الإسلام وصلاته فى الحرم .

(٤) كل مؤرخى السيرة المطهرة تقريبا .



وضوحاً للسرية، وأدق تنظيمًا لها ، لأنه مرحلة حرب وجهاد ، والحرب خدعة وتورية .  
ففى العهد المكي على امتداده كانت هناك أحداث كثيرة تشهد بالتزام الرسول ﷺ  
وأصحابه بصفة السرية .

أ - فدار الأرقم بن أبى الأرقم وما كان يدور فيها من أمور ، خير شاهد على  
اتصاف العهد المكي كله بصفة السرية ، قال صاحب (١) كتاب السرية فى حياة الرسول  
ﷺ عند حديثه عن تلك الدار : ( وكانت فى مكان آمن لا يهتدى إليه المشركون ) .

ب - ومن قصة ضرب المشركين لأبى بكر رضيه الله عنه وما دار بينه وبين أم جميل فى  
حضرة أمه دليل على تعمق صفة السرية فى حياة الصحابة عموماً . وهى قصة متأخرة  
فى تاريخها . كما أخرجها صاحب (٢) البداية عن عائشة قالت : ( خرج أبو بكر . . .  
فقال : اذهبى إلى أم جميل بنت الخطاب فاسأليها عنه ، فخرجت حتى جاءت أم جميل  
فقالت : إن أبا بكر يسألك عن محمد بن عبد الله ، فقالت : ما أعرف أبا بكر ولا  
محمد بن عبد الله ، وإن كنت تحيين أن أذهب معك إلى ابنتك ، قالت : نعم فمضت  
معه . . . » .

ج - وكذلك قصة إسلام عمرو بن عبسة (٣) وأمر الرسول ﷺ له أن يكتم إسلامه  
ويلحق بأهله .

د - وكذا إسلام أبى ذر (٤) والكيفية التى توصل بها إلى رسول الله ﷺ ، حيث  
اتفق معه الدليل وهو على بن أبى طالب أنه إن رأى بأساً فإنه سيجلس كأنه يريق الماء .

هـ - وكذا قصة جهل (٥) عمر بن الخطاب بإسلام أقرب الناس إليه وهما أخته  
وختنه . وهى قصة متأخرة جداً (٦) عن الثلاث سنوات التى حددت بها السرية .

و - وكذا قصة العقبة الأولى ، والثانية فقد تمت فى غاية من السرية ، وهى من آخر  
أحداث العهد المكي زمنًا .

ز - وأخيراً ما أحاط به رسول الله حادث هجرته (٧) مع أبى بكر من سرية كاملة ،  
وهو الحادث الذى ختم به العهد المكي .

(١) السرية فى دعوة الرسول ص ١٠٠ للشيع على محمد الزبيرى .

(٢) البداية والنهاية ٣ / من ٢٩ - ٣١ . (٣) انظر : البداية ٣ / ٣١ .

(٤) انظر البداية ٣ / ٣٤ . (٥) انظر : البداية ٣ / ٣١ .

(٦) كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير فى البداية ٣ / ٣١ .

(٧) انظر البداية ٣ / ١٧٧ .

ففى تسلسل هذه الأحداث والقصص من أول العهد المكى إلى آخره دليل على بروز صفة السرية فى ذلك العهد على امتداده ، وأما الأحداث التى تشهد بامتداد صفة السرية إلى العهد المدنى فكثيرة . وخاصة أن العهد المدنى أخذ الطابع الحربى - ولم يكن ذلك فى العهد المكى - وهو الطابع الأكثر اضطراراً إلى السرية الكاملة . حتى جعل النبى ، وزيراً له فى هذا الجانب وأطلق عليه أمين سر رسول الله ﷺ .

قال صاحب دروس فى الكتمان : ( وكان حذيفة بن اليمان العبسى رضي الله عنه صاحب سر رسول الله ﷺ ) (١) .

وفى مقدمة تلك الأحداث الشاهدة بامتداد صفة السرية لدعوة الرسول ﷺ :

أ - قصة خروجه ﷺ مع أبى بكر يوم بدر لاستطلاع خبر عدوه وسؤاله الشيخ وكنمه ﷺ خبره عن ذلك الشيخ ، قال صاحب البداية (٢) : ( ... حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه وما بلغه عنهم ، فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ، فقال رسول الله ﷺ : « إذا أخبرتنا أخبرناك » ، فقال : أو ذاك بذاك ؟ قال : « نعم » . قال الشيخ ... فلما فرغ من خبره قال : من أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : « نحن من ماء » ثم انصرف عنه ... ) .

فهذه التورية من رسول الله ﷺ على ذلك الشيخ تدل على أصالة السرية فى منهجه ، وأنها ليست خاصة بالعهد المكى أو المدنى ، وليست محصورة فى ثلاث سنوات من دعوته .

ب - وكذا قصة سرية عبد الله بن جحش عندما بعثه رسول الهدى ﷺ على رأس سرية ليأتى بخبر قريش . قال : ابن إسحاق (٣) : « وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن جحش الأسدى فى رجب مقفله - أى مرجعه - من بدر الأولى ، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الانتصار أحد ، وكتب له كتاباً وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه ... » وقد عنون العقاد (٤) على هذا النوع من الرسائل عنواناً سماه ( الرسائل المختومة ) واعتبرها من صميم السرية .

والظاهر أن مراد القائلين بأن السرية محدودة بثلاث سنوات هو السرية المطلقة ،

(١) دروس فى الكتمان من حياة الرسول القائد ص ١٢ تأليف اللواء الركن محمود شيت خطاب .

(٢) البداية ٣ / ٢٦٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠١ .

(٤) عقبة محمد ﷺ ص ٥٧ .

المشتملة على كل أمور الدعوة ، حتى أن الذين أسلموا معه فى هذه الفترة كان يطلب منهم كتمان إسلامهم ، ثم بعد هذه الفترة صارت السرية فى بعض أمور الدعوة دون البعض ، وهو مراد مقبول وبه يمكن التوفيق بين ما ذكرناه من مراحل السرية وبين هذا القول الذى يحد السرية بثلاثة أعوام .

#### خلاصة هذا المعلم :

وخلاصة معلم السرية فى حياة الرسول ﷺ أنه الصندوق الذى تحفظ فيه خطة العمل الجماعى ، والسرادق الذى يحيط بها ويصونها ، وأنه معلم مهم على امتداد حركة بناء الجماعة ، وعلى وجه الخصوص مراحلها الأولى حتى لا تضرب فى مهدها ، وأنه خاص بالجانب التنظيمى من الدعوة فقط . وليس منه الجانب الفكرى أو الثقافى وغيرهما من الجوانب المعلنة فى الإسلام ، فعلى الدعاة أن يهتموا بهذا المعلم ، ويصدروا عنه فى حركتهم ، فهو صمام الأمان الذى يقى العمل الجماعى من العيون المتربصة به ، ولا بد من فقه هذا المعلم ومعرفة حسن استخدامه فى مكانه المناسب وزمانه المناسب ، ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرَ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف] .

## المبحث الخامس

### فى المعلم الخامس من سيرة الرسول وهو الصبر على استقرار الجبهة المضادة

الصبر فى مرحلة التكوين سنة من سنن الله تعالى :

ومن أبرز عوامل صيانة هيكل الجماعة فى سيرة الرسول ﷺ فى مرحلة التكوين أمره لجميع أفراد الجماعة بالصبر ، وحبس النفس ، وضبط الأعصاب ، أمام كل تحديات الجبهة المضادة ، وعدم الالتفات لكل ما يصدر عنها من سخرية ، وتطاول على الدعوة وأصحابها ؛ لأن سنة الله تعالى شأنه فى الكون أن كل المخلوقات فى مراحلها التكوينية يرافقها ضعف وعدم قدرة على التصدى للعوامل المضادة ، والجماعة الإسلامية جزء من ذلك الكون تنطبق عليها سننه ونواميسه ، فلا بد لها من عوامل صيانة فى مرحلتها التكوينية ، والصبر من أهم عوامل تلك الصيانة وهو سنة إلهية لوقاية الجماعات فى مرحلتها التكوينية .

#### ظاهرة تكرار الأمر بالصبر :

أما ظاهرة تكرار أمر الله تعالى لأفراد الجماعة الإسلامية بالصبر فهى ظاهرة بارزة فى كل القرآن الكريم والسنة المطهرة ؛ لحاجة الأمة الإسلامية إليه فى كل أحوالها فكان لا بد من تذكيرها بهذا المعنى كلما غفلت عنه ، فكما أنها تحتاجه لتستعين به على الطاعة وتجنب المعصية ، فهى تحتاجه عند جهاد المشايق لله ، وعند النصر عليهم ، وتحتاجه عند ثقل الحمل وقلة المعين ، تحتاجه عند تأخر النصر ، وطول الطريق ، تحتاجه عند التواء النفوس وضلال القلوب ، بيد أن تكرار ظاهرة الأمر بالصبر فى الجانب المكى من القرآن الكريم كان أكثر بل وفى أوائل السور تنزيلا كان تكرار الصبر والحث على التمسك به واضحا جداً ؛ لأن الجماعة فى ذلك العهد فى مرحلة ضعف تكوينى ، وقلة سند مady .

فعلى سبيل المثال لا الحصر وجه الله تعالى نبيه بالصبر فى سورتي الزمل والمدرثر وهما من أوائل السور تنزيلا . قال تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠ ﴾ [ الزمل ] ، ﴿ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ ﴾ [ المدرثر ] .

هذا التكرار الكثير للصبر فى الجانب المكى من القرآن يدل على أهمية هذا الخلق فى حفظ كيان الجماعة ، وعلى ضرورة التحلى به من قبل أفراد الجماعة ، خاصة فى مرحلتهم التكوينية .

**الأدلة على صبره ﷺ ، وصبر الصحابة رضيم على أذى المشركين فى مكة :**

تتمثل فى كل أحوالهم فى مكة المكرمة قبل الهجرة ، فليس هناك حال للدعوة الإسلامية فى مكة فى ذلك العهد تقريبا إلا وترى صفة الصبر بارزة فيه ، ترى الصبر على الأذى من جهة طاغية ، على جهة مجردة من الخول والقوة ، ترى الصبر على مواقف الاستخفاف والاستفزاز مع القدرة على البطش والتصدى من قبل بعض أفراد الجماعة الإسلامية ، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يؤمرون بكف أيديهم ، وترى الصبر على الجوع والفاقة ، ترى الصبر على الغربة والتشريد ، ترى الصبر على الخوف والإرجاف .

كل هذه الأحوال المؤلمة كانت على طول ذلك العهد المكى ، الذى قد يكون قياسه بالزمن قصيرا ، ولكن قياسه بقياس معاناة النفس البشرية له ، يعتبر وزنا ثقيلا ومجالا واسعا ، خاصة على نفوس الصفوة البارة من الصحابة وفى مقدمتهم النفس الشريفة الطاهرة نفس رسول الله ﷺ .

نكتفى هنا بهذه الإشارة إلى ما كان يعانى به رسول الله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم فى مكة ، وسنبسط نماذج من تلك الأحوال فى فصل طبيعة الطريق إن شاء الله تعالى .

**ثقل ذلك الأذى على نفس الرسول ﷺ وصحابته :**

ولقد عبر عن ثقل ذلك الحمل من الغمز ، واللمز تارة ، والسخرية والاستهزاء تارة أخرى ، والاعتداء على المحارم والأعراض تارة ، والاعتداء على الأجساد بالتعذيب ثم القتل والتشريد تارة ، عبر رسول الهدى ﷺ عن ذلك الحمل الثقيل على النفس والحال بعد أن أدمى سفهاء ثقيف قدميه الشريفتين ، عبر عنه وهو يناجى ربه :

« اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ، إلى من تكلنى ؟ إلى عدو يتجهمنى ، أم إلى قريب ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، غير أن عافيتك أوسع لى ، أعوذ بوجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك ، أو يحل بى سخطك ، لك العتبى

حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك » الحديث (١) ، وعبر عنه خباب بن الارت رضي الله عنه بقوله : ( أتيت النبي ﷺ وهو متوسد ببردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله لنا ؟ ) (٢) .

إنه تعبير صادق مغمور بالألم عن وزن ثقل وتحديات كبرى ، بيد أن ضرب الجماعة والقضاء عليها فى مهدها كان أكبر وأعظم فى ذلك الوزن ، فكان لا بد من الصبر ولا بد من التحمل ، وقد كان من ذلك السلف البار ، ولا بد أن يكون من الخلف الحاضر ، والمتنظر إن شاء الله تعالى .

قد كان ذلك التحمل من السلف عندما قال آل ياسر . . . للباطل : لا حتى الموت (٣) . ولقد سارت الأمة الإسلامية على طول أزمانها (٤) ، وامتداد أجيالها على هذا النهج الذى هو لا للباطل حتى الموت ، وستقول الأجيال القادمة من هذه الأمة أيضا : لا للباطل وألف لا حتى الموت ؛ وذلك لأن الباعث الذى دفع آل ياسر إلى قوله « لا » ، ونفخ فيهم قوة التحمل والاستعلاء بالحق على الباطل ، باق ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، ذلك الباعث هو الإيمان بأن هناك قوة أكبر من هذا الباطل ، وأن هناك يوما يعدل فيه بين الناس ، وأن هناك جنة تنتظر الشهيد ونارا تنتظر كل كافر عنيد . فلا بد أن يهتم الدعاة بذلك الباعث ، ليوجد الصبر ثم لتبقى الجماعة ، ثم يكون النصر للإسلام والمسلمين ، والله المستعان .

---

(١) ذكره السيوطى فى الجامع الصغير وحسنه ٢ / ١١٩ فىض القدير ، وهو فى سيرة ابن هشام ١ / ٤٢٠ ، وحسب تقديرى أنه جزء من حديث عائشة فى الصحيحين ( هل أتى عليك يوم أشد ؟ ) لأن فى آخر الحديث الصحيح مجيء جبريل مع ملك الجبال وعرضهما عليه ﷺ إطباق الأخشين على الكفار وهذا العرض لا يأتى فى العادة إلا بعد الطلب بالدعاء .

(٢) أخرجه البخارى ٥ / ٥٦ ، ٥٧ ، وفى الفتح ٧ / ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٣) انظر قصة آل ياسر ١ / ٣١٩ ، ٣٢٠ من ابن هشام ، وهى مبسطة فى رجال حول الرسول لخالد محمد خالد ٢٥٧ - ٢٨١ .

(٤) الأمانة على ذلك كثيرة مثل محنة الحجاج ، ومحنة خلق القرآن . . . وما لاقاه المسلمون من جراء ذلك وهم يقولون : لا للباطل أبدا .

## المبحث السادس فى المعلم السادس من سيرة الرسول وهو الإبعاد عن ساحة المعركة

مفهوم معلم الإبعاد عن ساحة المعركة :

ولما كان الكتمان، والصبر غير كافين لضبط أمور الجماعة وصيانة بنائها من الأذى ، لاختلاف الناس فى القدرة على تطبيقهما ، واختلاط جوانب الكتمان بجوانب الإعلان عند أفراد الجماعة، ولأن أكثر تعاليم الإسلام لا بد أن تظهر على صاحبها سلوكا وثمره ، واختلاف معادن الناس فى الصبر على القهر والاستفزاز ، لما كان الأمر كذلك ، بادرت القيادة الحكيمة بإيجاد عامل أضبط لصيانة بناء الجماعة ، الذى سترتب على بقائها ، نصره الإسلام ونشر تعاليمه ، وعلى هلاكها تجميد أحكام الإسلام ومحق تعاليمه ، كما عبر عن ذلك رسول الله الهدى ﷺ : « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد فى الأرض » (١) ، فكانت فكرة الإبعاد لأفراد الجماعة عن ساحة المعركة مع العدو بالهجرة هو ذلك العامل الذى استطاعت القيادة بموجبه حفظ براعمها من بطش قريش ، وتجنب الجماعة بعد ذلك عملية محق وهلاك محقق .

أهمية ذلك المعلم فى صيانة بناء الجماعة :

إن فكرة إبعاد من أسلم عن ساحة المواجهة مع طغيان قريش وجبروتها توفيق من الله تعالى لرسوله ﷺ .

وهو توجيه كذلك للسائرين على هذه الطريق يقصدون نصره الإسلام ، ورفع لوائه ، إن الابتعاد عن ساحة المعركة فى مراحل التكوين التى لا تقوى الجماعة على المواجهة فيها، أمر يوجب الدين، وتقتضيه حال الجماعة فى مراحلها الأولى . إنك تلمس من قول الرب تعالى شأنه: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِيَّ وَأَسْعَةً فَيَايَ فَاَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [العنكبوت] ، أن الابتعاد عن ساحة المعركة فيه صيانة لعبادة الله سبحانه وتوحيده .

وتدرك أن إعطاء المؤمنين ولاءهم لمن كان فى ساحة الكفر مرتبط بهجرته ، وابتعاده

(١) سبق تخريجه ص ١٠٩ من هذا الكتاب .

عن الفتنة فى الدين ، لضعفه عن مقاومة ضغط قوى الكفر فى مرحلة التكوين ، ولأن وجوده فى الجماعة زيادة قوة لها قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَايَتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾ [ الأنفال : ٧٢ ] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [ النساء : ٨٩ ] .

وتدرك أن حجة الملائكة على الذين ادعوا الاستضعاف فى الأرض هى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَأَسِعَةَ فُتُهَا جَرُوا فِيهَا ﴾ [ النساء : ٩٧ ] .

إن إبعاد الأفراد المستجيبين للدعوة عن ضغط السلطة الجائرة إلى أرض يأمنون فيها على أنفسهم ودعوتهم أمر يجب أخذه بعين الاعتبار من قبل الجماعة الإسلامية ، والدعاة إلى الله تعالى .

الجانب التطبيقي لمعلم الإبعاد فى حياة الرسول ﷺ :

ولقد وضع الجانب التطبيقي لعامل الإبعاد لأفراد الجماعة عن ساحة المعركة فى حياة الرسول ﷺ ، ووضحت كذلك نتائجه الحميدة ، والتي من أعظمها عودة أولئك المهاجرين إلى مكة فاتحين بعد تجمعهم فى مكان آمن ، ذلك المكان هو المدينة المنورة .

بدأ التطبيق العملى فى عامل الإبعاد بالإذن العام إلى كل أفراد الجماعة فى مكة بمغادرتها إلى أرض الحبشة ، لعلم القيادة بأمان ذلك المكان ، وإمكان عيش أولئك الأفراد فيه بسلام وأمن .

قال ابن إسحاق : ( فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية ، بمكان من الله ، ومن عمه أبى طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » . فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب الرسول ﷺ إلى أرض الحبشة ) (١) .

ثم الأمر العام لكل من أسلم من خارج مكة بالرجوع إلى أهله ، والبقاء هناك حتى ينصر الله الإسلام ويشدد عوده .

ومن الأمثلة على ذلك أمره ﷺ لأبى ذر الغفارى والطفيل بن عمرو الدوسى ومن جاءه من الأنصار وغيرهم (٢) ، بالعودة إلى بلدانهم حتى يفتح الله على الدعوة .

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣٢١ .

(٢) انظر قصة إسلام أبى ذر الغفارى فى : البداية ٣ / ٤٣ ، وإسلام الطفيل فى ابن هشام ١ / ٣٨٢ وإسلام =



## عامل الإبعاد أحبط جريمة قتل الرسول ﷺ :

ولقد شملت هذه الأوامر كل المستويات فى الجماعة ، القوى منها والضعيف ، من كان له سند يدفع عنه ، ومن لم يكن له ذلك السند ، قال ابن كثير : ( ولم يبق فيها إلا من فتن أو حبس ) (١) .

وختمت أخيراً بالقيادة نفسها ، متمثلة فى شخص رسول الله ﷺ وهجرته إلى المدينة المنورة ، وبهذا الأمر نجت الجماعة بأفرادها ، ونجت بقيادتها من محق وتدمير محقق ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُفْتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [ الأنفال ] .

وكان المتفق عليه من مجتمعى الندوة هو القتل ، كما جاء ذلك فى اتفاق (٢) دار الندوة المشنوم واختيارهم من كل قبيلة واحداً لتنفيذ عملية القتل الفاشلة ، وغلب الله على أمره وهاجر الرسول ﷺ ليواصل المسيرة المباركة ، وقد كانت الغلبة للحق نتيجة لذلك التوجيه الموفق لأفراد الجماعة بالابتعاد عن ساحة المعركة إلى مكان آمن .

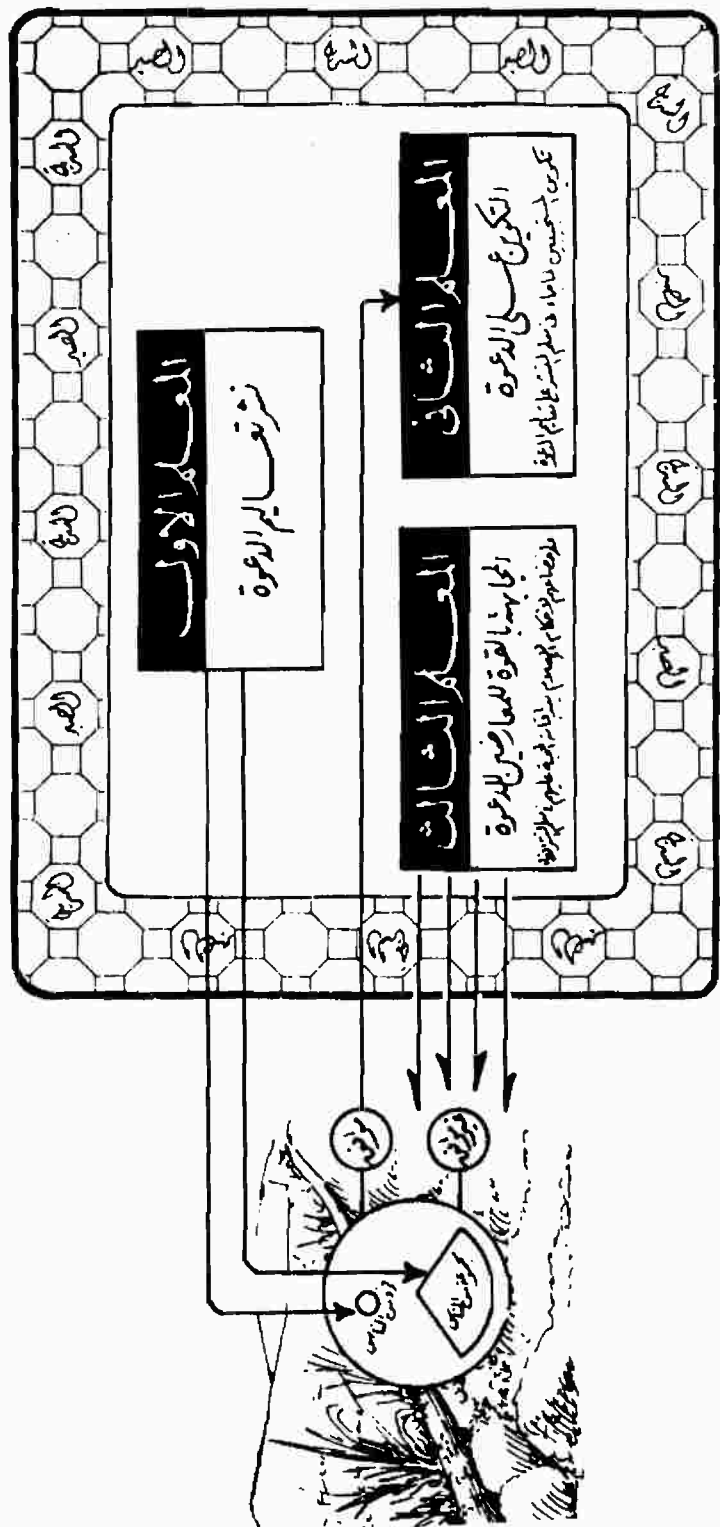
وستكون تلك الغلبة إن شاء الله لطلائع البعث الإسلامى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، متى روعى ذلك العامل الصياني العظيم من قبل قيادة ذلك البعث فى كل زمان ومكان . والله الموفق .

---

= الدفعة الأولى والثانية من الانتصار ابن هشام ١ / ٤٣١ - ٤٣٨ .

(١) البداية ٣ / ١٧٥ .

(٢) انظر : البداية والنهاية لمزيد من التفصيل ٣ / ١٧٥ .



رسالة في دعوة المعلم الثالث للدعوة في نارا والجماعة للدعوة

الفصل الرابع  
طبيعة الطريق إلى جماعة المسلمين  
المبحث الأول  
مفهوم طبيعة الطريق  
وكونها سنة من سنن الله تعالى

مفهوم تلك الطبيعة :

وبعد أن أوجزت في توضيح معالم الطريق إلى جماعة المسلمين ، وأنها تبدأ بنشر أفكار الدعوة ثم تكوين المستجيبين لهذه الدعوة على تعاليمها ، ثم إخضاع المعارضين لها ، وإجبارهم على التنحى عن طريقها وبعد أن بينت أهم عوامل الصيانة لحركة بناء الجماعة ، أشعر في بيان طبيعة تلك الطريق التي هي ابتلاء واختبار وامتحان ، لأضع السالك لهذه الطريق على بصيرة من أمره ، وعلى وضوح من حقيقة طريقه .

إنها طبيعة قد تكون شاقة على النفس البشرية ، ولكنها تنتهى بالصابر عليها إلى جنة عرضها السموات والأرض ، جنة فيها مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، جنة تنسى من رزقه الله تعالى دخولها كل مشاق ومتاعب الطريق إليها ، هذه الجنة هي التي سار في الطريق إليها رسول الله ﷺ بكل وعورتها وغيباتها حتى دخلها ، وعندها أعلن لنا بإيجاز بديع عن طبيعة هذه الطريق بقوله : « حفت الجنة بالمكاره » (١) .

لقد سار رسول الله ﷺ على هذه الطريق فلقى فيها الساخرين المستهزئين ، ولقى عليها المعتدين الأثمين ، رأى على جوانبها السجون والمعتقلات ، رأى في منعطفاتها أدوات القتل ، والفتك والتعذيب ، رأى رفاقه من الرهط الكرام وهم ينشرون بالمناشير فيقسمون قسمين ، رأى الذين تمشط لحومهم بأمشاط الحديد ، رأى الأخدود وهي تتأجج بالنيران على المؤمنين ، رأى المصلوبين ، والمشنوقين ، والموتدين بالأوتاد ، رأى

(١) أخرجه مسلم ٢١٧٤/٤ ، والترمذي وقال : « حديث حسن صحيح » ٦٩٣/٤ ، وأبو داود ٢٣٦/٤ ، والدارمي ٢٣٩/٢ .

وعلم ، علم يقين كل هذا فعبّر عند ذلك التعبير الصادق : « حفت الجنة بالمكاره » مينا لنا أن هذه هي طبيعة طريق الدعاة إلى الله .

وأكد الرب سبحانه في أكثر من آية في كتابه العزيز على تلك الطبيعة لهذه الطريق :

قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مُسْتَهْمٌ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة : ٢١٤] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٢] ، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ تَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [التوبة : ١٦] ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [التوبة : ١٦] وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿ [المعنكوت]

وعلى الجانب الآخر من هذه الطريق كان رسول الله ﷺ يشهد مصارع أولئك الساعرين المعتدين ، رأى نهاية كل الطغاة والجبابرة إلى جهنم يسحبون وبئس القرار . رأى تلك المشاهد المرعبة والعواقب الوخيمة ، ثم أخبرنا عنها ؛ لتطمئن القلوب المؤمنة إلى نهايتها ، ونهاية أعدائها .

ولقد عاش ﷺ كذلك النوع الثانى من طبيعة طريق المسلمين المؤمنين ، جانب ما بعد النصر والتمكين ، جانب بسط النعمة فى المال والأهل والولد ، وهو الجانب الذى يخشى على المؤمنين خطره ، إنه الجانب الذى يرافق الإنسان فيه غرور النصر والتمكين ، وهو الذى يحس الإنسان فيه بثقل اللحم والدم وجاذبية الأرض ، وهو الجانب الذى يجلب الإنسان إلى الدعة والراحة والاطمئنان ومن ثم يسقط فى أثناء الطريق ، يسقط فى متاهات الغرور ، والمتاع المؤقت الزهيد .

لقد عاش رسول الله ﷺ كلا جانبي الطريق ، وذاق طبيعة كل منهما ذاق أشد الأذى من قومه ، فصبر وثبت حتى نهاية الطريق ، ثبت وصبر ، صَبَرَ أُولَى الْعِزِّ مِنَ الرِّسْلِ ، وقد تجلّى عزمه وإصراره على مبدئه فى قوله لعنه أبى طالب وهو يحاول تثبيطه عن دعوته : « يَا عَمُّ وَاللَّهِ لَوْ ضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلَكَ فِيهِ مَا تَرَكْتَهُ » (١) .

وعرضت عليه كل عروض الجانب الثانى من زينة ومتاع ، أخرج الترمذى عن أبى

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٦٦ .

أمامة عن النبي ﷺ قال : « عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت : لا يارب أشبع يوماً وأجوع يوماً » (١) .

هكذا أعرض عنه وهو يردد قوله المشهورة: « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة » (٢) .

أعرض عنه فعاش فى الكوخ والعريش ، ونام على الأرض والحصير .

أعرض عنه بكبح كل جاذبيته ومغرياته ، كبح النفس عن حب الدعة والمتاع ممثلاً قول الرب سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [ طه : ١٣١ ] .

وكبح الأزواج عن جذبه إلى أحضان ذلك المتاع الزائل ، كبجهن بقول ربه سبحانه : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأَسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ (٢٨) وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [ الاحزاب ] .

هذه هى طبيعة الطريق إلى بناء جماعة المسلمين ، وذلك هو مفهومها أضعه أمام الدعاة إلى الله ليكونوا على بصيرة من أمرهم ، قبل ولوج تلك الطريق وليبصروا المستجيبين لدعوتهم بهذه الطبيعة ، حتى لا يسقطوا فى أثناء الطريق ، والله المستعان .

أنواع طبيعة الطريق :

وهذه الطبيعة لتلك الطريق تحدث القرآن عنها كثيراً ، ونوعها إلى أنواع كثيرة نستطيع أن نحصرها فى نوعين رئيسيين هما : الخير ، والشر . كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ [ الانبياء : ٣٥ ] .

وقد لخص الأستاذ سيد قطب أهم تلك الأنواع (٣) نختصرها هنا :

١ - من الفتنة أن يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ، ثم لا يجد النصير الذى يسانده ويدفع عنه .

٢ - ومن الفتنة فتنة الأهل والأحباء الذين يخشى عليهم أن يصيبهم الأذى بسببه ، وهو لا يملك عنهم دفعا وهم يهتفون به ليسالم ، وينادونه باسم الحب والرحم واتقاء الله فى الرحم التى يعرضها للأذى والهلاك .

(١) أخرجه الترمذى ٤ / ٥٧٥ ، وقال : « حديث حسن » ، وهو عند أحمد ٥ / ٢٥٤ .

(٢) أخرجه البخارى فى مواطن عدة منها ٨ / ١٠٩ وهو فى الفتح ١١ / ٢٢٩ ، ومسلم ٣ / ١٤٣١ ، وأحمد فى مواطن عدة منها ٢ / ٣٨١ .

(٣) من ظلال القرآن ٢٠ / ١٠٥ ، ١٠٦ باختصار .

- ٣ - ومنها فتنة إقبال الدنيا على المبطلين ، ورؤية الناس لهم ناجحين ، تهتف الدنيا لهم ، وتصفق لهم الجماهير والمؤمن مهمل منكر لا يحس به أحد ولا يحامى عنه أحد .
- ٤ - ومنها فتنة الغربة فى البيئة ، والاستيحاش بالعتيدة ، حين ينظر المؤمن فىرى كل ما حوله وكل من حوله غارقا فى دنيا الضلالة ، وهو فى طريق غريب .
- ٥ - ومنها فتنة أن يجد المؤمن أمما ودولا غارقة فى الرذيلة، وهى مع ذلك راقية متحضرة فى حياتها ومجتمعها ، ويجدها غنية فى الوقت الذى تشاق الله تعالى وتحارب دينه .
- ٦ - ومنها فتنة الشهرة وجاذبية الأرض وثقله اللحم والدم ، وهى الطامة لأنها مؤيدة بطبع الإنسان وفطرته .
- ٧ - ومنها فتنة إبطاء النصر وطول الطريق .
- ٨ - ومنها فتنة الغرور ، والاتكال على النفس بعد النصر .
- هذه الأنواع كلها تعرض للمؤمن فى هذه الطريق ، والفائز هو الذى يستطيع أن يتجاوزها وهو فى طريقه إلى الله تعالى وجناته .
- أهداف هذه الطبيعة :**

فصل القرآن الكريم كثيرا (١) من الأهداف من وراء هذه الطبيعة لطريق الدعوة الإسلامية، ولكنها كلها تصب فى هدف واحد هو الوصول إلى الإنسان الأحسن عملا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴾ [الكهف] ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ [الملك : ٢] .

وبما أن حركات الإنسان وأفعاله ذات علاقة أصيلة فى تسيير دولاى الحركة البشرية - على هذه الأرض - من حيث السلب والإيجاب ، تصلح حركة ذلك الدولاى بصلاح حركة الإنسان ، وتفسد حركته بفساد حركة ذلك الإنسان وأفعاله ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم] ، ﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف] .

(١) انظر الآيات التالية أرقامها وسورها فى تفصيل أهداف هذه الطبيعة : البقرة الآيات: ٥٥ ، ١٢٤ ، آل عمران الآيات: ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٨٦ . سورة الأعراف الآيات : ١٦٣ ، ١٦٨ . المائدة آية ٩٤ . الأنفال آية : ١٧ . الأنعام آية : ١٦٥ . يونس آية : ٣٠ . النمل آية : ٤٠ . الأحزاب آية : ١١ . الفجر آية : ١٥ . القلم آية : ١٧ . الإنسان آية : ٢ .

وللوصول إلى حركة وأفعال الإنسان الصالحة التي تصلح بموجبها حركة دولاب الحياة البشرية كلها ، جعل الله تعالى شأنه محكا لتمييز الطيب من الخبيث من تلك الحركات والأفعال ، وأرشد سبحانه رسله وأنبياءه إلى ذلك المحك ، ليقوموا بموجبه بذلك الفرز والتمحيص ، وليسنوه بعد ذلك للسائرين على طريقهم ، والمتبعين لخطاهم من البشر ، ليصلوا إلى المعادن الصالحة من بنى الإنسان ، الذين سيكون على عاتقهم تسيير دولاب الحياة البشرية على هذه الأرض ، ذلك المحك هو الابتلاء والاختبار والامتحان ، الذى جعلناه طبيعة طريق الدعوة إلى الله تعالى .

فالهدف إذن من طبيعة هذه الطريق هو الوصول إلى الصالح من الناس من خلال أفعاله ، لتصلح بصلاحه الحركة البشرية على هذه الأرض .

ولتقريب ذلك المعنى إلى الذهن نأخذ عليه مثالا من قصة طالوت مع الملأ من بنى إسرائيل ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَر إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَهْبِثْ لَنَا مَلَكًا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلَكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨) فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلَاقُوا اللَّهَ كَمِ مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٌ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩) وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا مَبِيعًا وَثَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَانصَرَفْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ [البقرة] .

وشاهدنا من هذه القصة العظيمة يبدأ من قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ ، حيث قرر سيدنا طالوت وضع أولئك الجنود على المحك مرة بعد مرة ، ليصل

بموجه إلى المعدن الذى يمكن أن يدخل به المعركة فلا يتخاذل ، ولا يتراجع طالوت ﷺ بعد أن أدرك بعلمه الذى هو الصفة الأولى من مؤهلات اختياره قائدا لذلك الجيش قال تعالى : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ - ضخامة المهمة الملقاة على عاتق جيشه ، وأن هذه المهمة تتطلب معدنا من الرجال تصمد إرادتهم للحرمان ، وتستعلى على الضرورات وتصبر على المتاعب والمشاق .

وأدرك أن الطريق إلى تلك المعادن أن يتليهم ويختبرهم ليميز منهم الخبيث والهش ، وليبعد بذرة الضعف والخبال ، وينحى ذوى الهزيمة والخذلان ، ليميزهم ويبيدهم عن اللبنات المؤمنة الموقنة ، عن المعادن الصابرة الثابتة ، المستعلية على كل قوى الأرض وجبروت أصحابها .

ولقد كانت لطالوت النتيجة التى كان يرجوها ، لقد غربل الجيش بالعطش فخرج الذين لا يمكن أن يصبروا على شهوات ذواتهم وهم الكثير قال تعالى : ﴿ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

ثم غربله مرة ثانية فى صورة ذلك القليل الذى لم يشرب ، وصبر على رغبات نفسه ومتطلبات شهوته ، غربل تلك الفئة القليلة ، ولم يقل : لم يبق من الجيش إلا القليل فأقف عن الغربلة حتى لا يتفرض من حولى ، لم يقل ذلك ومضى فى غربلته ؛ لأن الميزان عنده ليست الكثرة ولكن الميزان وجود الإرادة الصامدة ولو فى شخص واحد .

ولقد صدق ميزان طالوت ، وتقررت نهاية المعركة برجل واحد ، قال تعالى : ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .

غربلها بتضخيم قوة جالوت ، وتقليل قوة الفئة المؤمنة ، فخرج منها الذين قالوا : لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده ، ولم يثبت إلا الذين يظنون أنهم ملاقوا الله واتحدوا مع طالوت فى الميزان وأيدتهم عليه السماء فى ثورة قاعدة عامة تتكرر كلما توافرت لوازمها .

تلك القاعدة هى كما قال تعالى : ﴿ كَمِ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةٌ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٤٩] .

تلك القلة المؤمنة هى التى برزت لجالوت وجنوده . قال تعالى : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة : ٢٥١] .



والعبرة التي تهمنا هنا من هذه القصة ونسجلها من بين غيرها الكثيرة هي :

أ - أن طالوت لم يغتر بحماس الكثرة . وهو يسمع دوى هتافها لنيها : ﴿ اَبْعَثْ لَنَا مَلَكًا نُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

ب - ولم يكتف بمحك واحد لنفوس جيشه بل عرضهم لتجارب متعددة حتى توصل إلى المعدن الذي يريده غير مكترث بالعدد والكثرة . وهي عبرة على الدعاة أن يقفوا بأفرادهم عندها كثيرا وألا يدخلوا بهم مهمة قبل أن يمتحنوهم ويختبروهم بمواقف مشابهة لمواقف تلك المهمة ، كالجندي يتدرب على السلاح قبل استعماله في المعركة .

وخلاصة هذه النقطة :

أ - أن دولاب حركة هذه البشرية على هذه الأرض لا يمكن أن يسير السير الذي يريده الله تعالى له إلا أن تتسلمه أيد تربت التربة التي يريدها الله .

ب - ولا يمكن الوصول إلى معرفة تلك الأيدي الصالحة إلا بعد تجارب فينكشف بموجبها الصالح من الطالح .

وتلك التجارب هي التي نسميها طبيعة الطريق .

والأيدي الصالحة هي كما قررنا هدف هذه الطبيعة المباركة .

طبيعة الطريق سنة من سنن الله :

وجعل الله تعالى شأنه طبيعة هذه الطريق سنة من سننه ، يخضع لها أصل خلق الإنسان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ (٢) ﴿ [ الإنسان ] ، ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [ الملك : ٢٠ ] ، ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ (٧) ﴿ [ الكهف ] .

فالابتلاء في الآيات معناه الاختبار والامتحان لأفعال الإنسان على هذه الأرض ، وتميز الحسن منها عن الخبيث ، والجماعة الإسلامية قيادة وأفرادا جزء من ذلك الإنسان تخضع لما يخضع له أصلها .

فتنطبق عليها سنة الله تعالى شأنه في اختبار أعمالها ، وتميز صفها ، وإبعاد الهش من لبناتها ، قال تعالى : ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١٥٥) ﴿ [ البقرة ] ، ﴿ وَلَيَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ

مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ ﴿ [محمد : ٣١] ، ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٦٥] ، ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (١١) ﴿ [الأحزاب] .

وكما أنها تنطبق على عامة المسلمين فهي أشد انطباقاً على صفوة الإنسانية من الأنبياء والرسل .

ثم على الذين يلونهم في التقوى والإيمان .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ... ﴾ [البقرة : ١٢٤] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ﴾ [النمل : ٤٠] .

وروى الترمذى وغيره من حديث سعد بن أبى وقاص قلت : يا رسول الله ، أى الناس أشد بلاء ؟ قال : « الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » (١) ... الحديث .

وعليه ، فالابتلاء سنة من سنن الله سبحانه وتعالى لا مفر منها لكل إنسان خلق على هذه الأرض وعلى الأخص دعاة الحق من ذلك الإنسان ، فهم بمجرد نطقهم بالحق يطالبهم الرب سبحانه وتعالى بالدليل على صدق دعواهم ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ ۙ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [العنكبوت]

(١) أخرجه الترمذى ٦٠١/٤ وقال عنه : « حديث حسن صحيح » وابن ماجه ٢ / ١٤٣٤ ، والدارمى ٢ / ٣٢٠ .

## المبحث الثانى نماذج من طبيعة الطريق

أولاً : نماذج ما قبل البعثة النبوية :

وكما أن طبيعة الطريق سنة يخضع الإنسان لأحكامها ، والجماعة الإسلامية تتكون من ذلك الإنسان ، ف نماذج هذه الطريق تبدأ من اللحظات الأولى لهذا الإنسان :

النموذج الأول : قصة ابنى آدم وما قرباه من قربان على هذه الأرض :

فالله سبحانه يروى لنا قصة من أول قصص الصراع بين الحق والباطل متمثلة فى صورة ابنى ادم وما قرباه من قربان .

قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَىكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ (٢٩) فَطَرَعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٣٠) ﴾ [ المائدة ] .

من هناك من لدن سيدنا آدم ﷺ بدأ الصراع بين الحق والباطل ، وطويت صورة من صور الحق على هذه الأرض لتعود إلى الجنة مرة ثانية منتصرة على الباطل ، الذى كان سبباً فى إخراجها منها .

فما أعظمها وأجلها من طبيعة لهذه الطريق، وعظمتها تكمن فى سرعة الحركة فيها ، إنها سرعة تفوق كل سرعة تعارف عليها البشر ، سرعة تقطع المسافة على طولها بسرعة أسرع من لمح البصر .

إن طول هذه الطريق هى المسافة بين الأرض والجنة . والوقت الذى تستغرقه هذه الرحلة بمقياس سرعة هذه الطريق ، هو لحظات إزهاق الروح فقط ، والذى يوضح هذه السرعة قصة الرجل المؤمن فى النموذج التالى :

النموذج الثانى : قصة المؤمن حبيب النجار :

وخير شاهد على سرعة الانتقال من أول هذه الطريق على هذه الأرض ، إلى آخر

هذه الطريق وهى الجنة ، نلمسه من برقية بعث بها إلينا مؤمن (١) بعد أن قطع هذه الطريق فى أقل من لمح البصر كما بين ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمِعُونِ ﴾ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ [يس]

فآخر كلمة قالها على الأرض هى ﴿ فَاسْمِعُونِ ﴾ بعدها مباشرة ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴾ وهى نهاية الطريق ، فالفترة التى استغرقتها رحلة ذلك المؤمن ، هى اللحظة ما بين نطقه بكلمة ﴿ فَاسْمِعُونِ ﴾ وكلمة ﴿ قِيلَ ﴾ . كما يصور ذلك النص الربانى من واقع القصة ولحظاتها ، وذهبت تلك اللحظة وصارت عبرة تتلوها الأجيال ويردها الكون نموذجا من نماذج الطريق .

ومثل هذا ما وقع فى عهد رسول الله ﷺ من ذلك الصحابى الذى كان فى يده تمرات فرماها وهو يقول: إنها حياة طويلة ، فقاتل فقتل (٢) ، فإذا هو فى الجنة . فيا لها من حلاوة لا يتذوقها إلا من سار على هذه الطريق - طريق الدعوة إلى الله - وياله من إكرام من رب العالمين للسائرين على هذه الطريق ، إكرام فى الدنيا بأن تسجل أسماؤهم فى سجل الخالدين ، وإكرام فى الآخرة بأن يعيشوا فى رحاب رب العالمين : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٧) [يس] .

يالها من طبيعة حلوة المذاق فى حقيقتها ، شديدة الوقع على النفس الإنسانية فى ظاهرها ، عظيمة الوزن بمقياس رب العالمين لمن صبر عليها ، وسيئة الوطء بالمقاييس الأرضية الناقصة ، والطبائع البشرية القاصرة .

### النموذج الثالث : قصة أصحاب الأخدود :

ومن مشهد حبيب النجار إلى نجران حيث جرى مشهد من مشاهد هذه الطريق . إنه مشهد قتل أصحاب الأخدود ، بالنار ذات الوقود ، وهى القصة التى أخذت من القرآن الكريم سورة كاملة سردا وتعقيبا ، ثم جاءت السنة المشرفة تبينا وتفصيلا .

قال تعالى : ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَهِدَ وَمَشْهُودِ (٣) قَتَلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ

(١) المؤمن ، قال المفسرون : هو حبيب بن مرى النجار ( القرطبي ١٥ / ١٧ والجلالين ص ٢٧٠ ) .  
(٢) يشير إلى الحديث الذى رواه أحمد فى مسنده ١٣٦ / ٣ ، ١٣٧ فى قصة عمير بن الحمام بن الجموح رضى الله عنه ، وهى فى المستدرک ٣ / ٤٢٦ ، وأخرجه مسلم مختصرا ٦١ / ٤٤ ، ٤٥ .

بِالْمُؤْمِنِينَ شُهَدَاءُ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٨) ﴿ [البروج ] .

وعن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر ، فلما كبر قال للملك: إني كبرت فابعث إليّ غلاما أعلمه السحر، فبعث إليه غلاما يعلمه ، فكان فى طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه ، إلى أن قال . . . فقال له الملك : من رد عليك بصرك ؟ قال : ربي ، قال: ولك رب غيرى ؟ قال : ربي وربك الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فجىء بالغلام فقال له الملك : أى بنى ، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ، فقال : إني لا أشفى أحدا ، إنما يشفى الله ، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب ، فجىء بالراهب فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ، ثم جىء بجليل الملك فقيل له : ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ، ثم جىء بالغلام فقيل له : ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا كذا ، فاصعدوا به الجبل فإذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشى إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله تعالى . . . فإن رجع عن دينه وإلا فاقدفوه ، فذهبوا به فقال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى إلى الملك . . . فقال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما أمرك به ، قال : وما هو ؟ قال : تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم فى كبد القوس ، ثم قل : بسم الله رب الغلام ، ثم ارمني ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ، فجمع الناس . . . ثم قال : بسم الله رب الغلام ، ثم رماه فوق السهم فى صدغه ، فوضع يده فى صدغه فى موضع السهم فمات ، فقال الناس : آمنا برب الغلام . . . فأتى الملك فقيل له : أرايت ما كنت تحذر ؟ قد والله نزل بك حذرک ، قد آمن الناس ، فأمر بالأخدود فى أفواه السكك فخذت وأضرم النيران . وقال : من لم يرجع عن دينه فاحملوه فيها ، أو قيل له : اقتحم ، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام : يا أمه اصبرى ، فإنك على الحق » (١) .

وقد استوقفت هذه القصة الأستاذ سيد قطب فجعلها معلما من « معالم فى الطريق »

(١) أخرجه مسلم ٤ / ٢٢٩٩ - ٢٣٠١ وهو عند أحمد ٦ / ١٦ - ١٨ .

نلخص بعضه هنا : « إن قصة الأخدود - كما وردت في سورة البروج - حقيقة بأن يتأملها المؤمنون الداعوان إلى الله ، إنها قصة فئة آمنت بربها واستعلت ذلك الإيمان واستعلت به ، ثم تعرضت للفتنة من أعداء جبارين مستهترين بحق الإنسان في حرية الاعتقاد بالحق .

لقد تحررت هذه القلوب من عبوديتها للحياة فلم يستدلها حب البقاء .

وفي مقابل هذه القلوب المؤمنة الخيرة كانت هناك جيلات شريفة مجرمة تجلس على النار متلهية بمنظر النار وهي تتوقد بالأجساد المؤمنة الطاهرة » .

هذه هي صورة المشهد كما يصورها سيد قطب ، ثم يعالج نقطة هامة في هذه الطريق ، وهي أن ظاهر تلك النهاية المؤلمة على هذه الطريق يحيك في الصدر شيئا بالمقاييس البشرية ، ولكن القرآن الكريم يبدد هذه النظرة ويمسح ما يحيك في النفس ، بتعليم المؤمنين شيئا آخر ، ويكشف لهم عن حقيقة أخرى ، ويصرهم بطبيعة القيم التي يزنون بها ، وبمجال المعركة التي يخوضونها ، إن الحياة وسائر ما يلبسها من لذائذ وآلام ليست هي القيمة الكبرى في الميزان الإلهي ، إن القيمة الكبرى في ميزان الله هي قيمة العقيدة ، وانتصار الروح على المادة ، ولقد كان ذلك الانتصار لأصحاب الأخدود .

ثم يقرر سيد نقطة أخرى وهي : أن الناس جميعا يموتون وتختلف الأسباب ولكن الناس جميعا لا ينتصرون هذا الانتصار .

ثم يقرر حقيقة أخرى من نفس القصة وهي : أنه كان في استطاعة تلك الفئة المؤمنة أن تنجو بحياتها مقابل الهزيمة لإيمانها ، ثم يتساءل سيد ولكنها كم كانت تخسر هي نفسها وهي تقتل هذا المعنى الكبير ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر بقتل ذلك المعنى الكبير ؟ معنى قتل الإيمان مقابل الحياة الهزيلة المؤقتة .

ثم يواصل سيد استنباطاته من قصة أصحاب الأخدود ، لينير بها حلقة تلك الطريق ، طريق الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، يقرر سيد أن قصة أصحاب الأخدود أخذ للمؤمنين ، وترك للمجرمين ، وفي أكثر قصص صراع الحق مع الباطل في القرآن أخذ للمكذبين ، ونجاة للمؤمنين ، ويعلل ذلك بأن من حكمة الله تعالى شأنه أن يستقر في حس المؤمنين في كل زمان ومكان أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية - نهاية أخذ المؤمنين وترك الكافرين .

ثم يقرر واجب أولئك المؤمنين فى مثل ذلك الموقف بقوله : « إن عليهم أن يؤدوا واجبهم ثم يذهبوا ، وواجبهم أن يختاروا الله وأن يؤثروا العقيدة على الحياة ، وأن يستعملوا بالإيمان على الفتنة وأن يصدقوا الله فى العمل والنية . ( ثم يعلل ) إنهم أجراء عند الله أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا عملوا ، وقبضوا الأجر المعلوم ، وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أى مصير ، فذلك شأن صاحب الأمر لا شأن الأجير » (١).

هذا هو المشهد والنموذج الذى دارت وقائعه على أرض نجران . والذى ذهب ضحيته فئة آمنت بربها وزادها الله هدى .

ولقد آثرت الأستاذ سيد قطب على نفسى فى نقل وقائع ذلك المشهد الرهيب لاتساع باعه فى هذا المجال ولولؤجه هذه الطريق طريق تلك الفتنة المباركة وتذوقه طعمها بجسمه النحيل ومشاهدته لأثارها بحسه المرفف ، وفوزه أخيرا بالوصول إلى نهايتها وتشرفه بمرافقة الخالدين : ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ﴾ [النساء : ٦٩] فى رحاب رب العالمين .

وهو مشهد من آلاف المشاهد على هذه الطريق على امتداد الأزمان أختتم به زمن ما قبل البعثة المحمدية العظيمة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

ثانيا : نماذج من زمن البعثة النبوية :

بعد الوقوف على شىء من مشاهد طبيعة الدعوة إلى الله تعالى فى زمن ما قبل البعثة المحمدية أشرع فى التقاط صور جديدة من طريق الدعوة إلى الله تعالى بعد بعثة الرسول محمد ﷺ .

١ - نماذج من حياة الرسول ﷺ :

نماذج من أذى المشركين له ﷺ :

وأبداً بأطهر وأشرف وأزكى إنسان دب على هذه الأرض ، وسار على طريق الدعوة إلى الله تعالى ، فتذوق مرارتها وحلاوتها ، ذلك الإنسان هو رسول الله محمد بن عبد الله ﷺ ، لتهون متاعب هذه الطريق على الدعاة إلى الله ، وتستريح إلى طبيعتها نفوسهم ، وتطمئن بأحقيتها أرواحهم وأفئدتهم .

(١) معالم فى الطريق للأستاذ سيد قطب ص ١٧٦ .

إن الأذى الذى تعرض له رسول الله ﷺ من أفدع أنواع السباب ، وتحمله ﷺ كل ذلك ، لخير مضمّد للمهتوكة أعراضهم ، وأنسابهم على هذه الطريق ، طريق الدعوة إلى الله تعالى .

إن التآمر على قتل محمد بن عبد الله وهو أكرم إنسان على الله تعالى ، لخير بلسم تشفى وتطمئن به القلوب والأرواح المهتدة بالقتل والشنق بين لحظة وأخرى .

وإن التجرؤ بوضع الروث وسلى (١) الماشية على رأس محمد بن عبد الله ﷺ وهو أعظم رأس على الإطلاق ، لخير مسكن لأعصاب الدعاة إلى الله وهى تتلقى كل أنواع الأذى فى كل زمان ومكان .

وإن التناول على محمد بن عبد الله ﷺ برميّه بالحجارة حتى تدمى عقباه وجبهته وتكسر رباعيته ويشج رأسه الشريف وهو صابر على ذلك كله ، لخير عامل يدفع السائرين على هذه الطريق إلى الأمام ، وينزل عليهم السكينة والطمأنينة والصبر على كل متاعب هذه الطريق ومشاقها وعقباتها .

ولقد سجل لنا القرآن ومصادر السيرة المطهرة كل تلك المهازل وأنواع الأذى التى تعرض لها رسول الله ﷺ ، فى جانب الأذى قال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ ص ] ، ﴿ أَوَلْقِيَ الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [ القمر ] ، ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [ الأنفال ] .

وأخرج أحمد عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد ، وأخفت فى الله وما يخاف أحد ، ولقد أتت على ثلاثون من بين يوم وليلة وما لىّ ولبلال ما يأكله ذو كبد إلا ما يوارى إبط بلال » (٢) .

وأخرج أيضا عن ربيعة : فقال رأيت رسول الله ﷺ بصر عيني بسوق ذى المجاز

(١) قال فى النهاية ٢ / ٣٩٦ : السلى : الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من بطن أمه ملفوفا فيه .

وذكر : ( أن المشركين جاءوا بسلى جزور فطرحوه على النبی ﷺ وهو يصلى ) .

(٢) أخرجه الترمذى ٤ / ٦٢٥ ، وقال الترمذى : « حسن غريب » ، وأخرجه ابن ماجه ١ / ٥٤ ، وقال عقب الحديث : أخرجه الترمذى فى باب الزهد وقال : حديث حسن صحيح ولم أطلع عليه فى كتاب الزهد والذى ذكره الترمذى عند هذا الحديث فى كتاب القيامة حسن غريب ، وأيد ابن كثير فى البداية والنهاية ٣ / ٤٧ أنه حديث حسن صحيح .



يقول : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » ، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه (١) . فما رأيت أحدا يقول شيئا ، وهو لا يسكت يقول : « يا أيها الناس قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا » ، إلا أنه وراءه رجل أحول وضىء الوجه ذا غديرتين يقول : إنه صابئ كاذب ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : محمد بن عبد الله وهو يذكر النبوة ، قلت : من هذا الذى يكذبه قالوا : عمه أبو لهب (٢) .

أخرج أيضا عن ربيعة قال : إنى لمع أبى رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضىء ذو جمة (٣) يقف رسول الله ﷺ على القبيلة ويقول : « يا بنى فلان ، إنى رسول الله إليكم ، أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وأن تصدقونى حتى أنفذ عن الله ما بعثنى به » ، فإذا فرغ رسول الله ﷺ من مقالته قال الآخر من خلفه : يا بنى فلان ، إن هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه ، فقلت لأبى : من هذا ؟ قال : عمه أبو لهب (٤) .

وأخرج البخارى رحمه الله عن عروة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال : سألت ابن عمرو بن العاص : أخبرنى بأشد شىء صنعته المشركون بالنبي ﷺ ، قال : بينما النبي ﷺ يصلى فى حجر الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقا شديداً ، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبيه ودفعه عن النبي ﷺ قال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ... ﴾ [غافر : ٢٨] (٥) .

وأخرج أبو داود وغيره عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه بالموقف يقول : « ألا رجل يحملنى إلى قومه ؟ فإن قریشا تمنعونى أن أبلغ كلام ربى » (٦) .

وأخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : لما نزلت الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (٢١٤) [الشعراء] صعد النبي ﷺ على الصفا ، فجعل ينادى : « يا بنى فهر ،

(١) متقصفون أى متراحمون ( النهاية ٤ / ٧٣ ) .

(٢) أخرجه أحمد ٤٩٢ / ٣ .

(٣) الجملة : من شعر الرأس ما سقط على المنكبين ( النهاية ١ / ٣٠٠ ) .

(٤) أحمد ٤٩٢ / ٣ .

(٥) أخرجه البخارى ٥٨ / ٥ ، وهو فى الفتح ١٦٥ / ٧ .

(٦) أخرجه أبو داود ٢٣٤ / ٤ ، والترمذى ١٨٤ / ٥ ، وقال : حديث حسن صحيح ، وابن ماجه ٧٣ / ١ .

يا بنى عدى - لبطن قريش - حتى اجتمعوا ، فجعل الذى لا يستطيع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال النبى ﷺ : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى ؟ » قالوا : ما جربنا عليك كذبا ، قال : « فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » ، فقال أبو لهب : تبأ لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ، فنزل قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ ﴾ الحديث (١) .

وأخرج أحمد عن ربيعة بن عباد قال : رأيت النبى ﷺ وهو يدعو الناس إلى الإسلام بنى المجاز وخلفه رجل أحول يقول : لا يغلبكم هذا عن دينكم ودين آبائكم . قلت لأبى وأنا غلام : من هذا الأحول الذى يمشى خلفه . قال : هذا عمه أبو لهب (٢) .

وأخرج البخارى ومسلم عن ابن مسعود : أن النبى ﷺ كان يصلى عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض : أياكم يجىء بسلى جزور بنى فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به ، فنظر حتى سجد النبى ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه ، وأنا أنظر لا أغير شيئا ، ولو كان لى منعه قال : فجعلوا يضحكون ويميل بعضهم على بعض ، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : « اللهم عليك بقريش » ثلاث مرات ، فشق عليهم إذ دعا عليهم . قال : وكانوا يرون أن الدعوة فى ذلك البلد مستجابة ، ثم سَمَّى : « اللهم عليك بأبى جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبى معيط » ، وعد السابع فلم يحفظه . قال : فوالذى نفسى بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى فى القليب قليب بدر (٣) .

وأخرج البخارى وغيره عن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ أنها قالت للنبى ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك مالقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبنى إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى ، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلمتلى ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فنادانى فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت

(١) سبق تخريجه ص ١١٦ من هذا الكتاب .

(٢) مسند أحمد ٣ / ٤٩٢ وقد سبق نحوه .

(٣) أخرجه البخارى ١ / ١٧٤ ، ومسلم ٣ / ١٤١٨ .

فيهم ، فناداني ملك الجبال فسلم على ثم قال : يا محمد، فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ؟ » فقال النبي ﷺ : « بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا » (١) .

وأخرج أبو نعيم في الدلائل تنمة هذه القصة عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال : ومات أبو طالب وازداد من البلاء على رسول الله ﷺ شدة ، فعمد إلى ثقيف يرجو أن يؤوه ، وينصروه فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم إخوة : عبد ياليل بن عمرو ، وخبيب بن عمرو ، ومسعود بن عمرو ، فعرض عليهم نفسه ، وشكا إليهم البلاء ، وما انتهك قومه منه فقال أحدهم : أنا أسرق ثياب الكعبة إن كان الله بعثك بشيء قط ؟

وقال الآخر : والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة أبداً لئن كنت رسولا لانت أعظم شرفا وحقا من أن أكلمك .

وقال الآخر : أعجز الله أن يرسل غيرك ؟

وأفشوا ذلك في ثقيف الذي قال لهم ، واجتمعوا يستهزئون برسول الله ﷺ وقعدوا له صفين على طريقه ، فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها إلا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون .

فلما خلاص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد إلى حائط من كرومهم ، فأتى ظل حيلة من الكرم ، فجلس في أصلها مكروبا موجعا تسيل قدماه الدماء، فإذا في الكرم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، فلما أبصرهما كره أن يأتيهما لما يعلم من عداوتهما لله ولرسوله وبه الذي به . فأرسلا إليه غلامهما عداسا بعنب وهو نصراني من أهل نينوى .

فلما أتاه وضع العنب بين يديه فقال رسول الله ﷺ : « بسم الله » فعجب عداس ، فقال له رسول الله ﷺ : « من أى أرض أنت يا عداس ؟ » قال : من أهل نينوى . فقال النبي ﷺ : « من أهل مدينة الرجل الصالح يونس بن متى ؟ » فقال عداس : وما يدريك من يونس بن متى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس ما عرف ، وكان رسول الله ﷺ لا يحقر أحدا يبلغه رسالات الله تعالى . قال : يا رسول الله ، أخبرني خبر يونس بن متى ، فلما أخبره رسول الله ﷺ من شأن يونس بن متى ما أوحى إليه من شأنه خر ساجداً لرسول الله ﷺ ثم جعل يقبل قدميه وهما تسيلان الدماء .

(١) أخرجه البخارى ٤/١٣٩ ، ١٤٠ ، ومسلم ٣/١٤١٨ ، والنسائي ١/٥١ ، وأحمد في مواضع عدة منها ٦ /

فلما أبصر عتبة وأخوه شيبة ما فعل غلامهما شكاً ، فلما أتاها قالا له : ما شأنك  
سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم ترك فعلت هذا بأحد منا ، قال : هذا رجل صالح  
حدثني عن أشياء عرفتها من شأن رسول بعثه الله تعالى إلينا ، يدعى يونس بن متى ،  
فأخبرني أنه رسول الله فضحكوا وقالوا : لا يفتنك عن نصرانيتك ، إنه رجل يخدع ، ثم  
رجع رسول الله ﷺ إلى مكة (١) .

فمن هذه القصص من الأذى الرهيب لرسول الله ﷺ ندرك شيئا من طبيعة طريق  
الدعوة إلى الله ، وأنها طبيعة عامة بالرسول وأتباعهم وأنه ليس أمامهم غير الاستمرار في  
الدعوة حتى ينصرها الله أو يموتوا في سبيلها .

نماذج من إغراء المشركين لرسول الله ﷺ :

بعد أن عجزت قريش عن إيقاف المد الإسلامي بأساليب التنكيل والتعذيب سلكت  
أسلوب الإغراء قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ لِفَتْرِي عَلَيْنَا غَيْرُهُ  
وَإِذَا لَأَتَّخِذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) ﴾ [ الإسراء ] .

قال ابن عباس في رواية عطاء : نزلت في وفد ثقيف أتوا النبي ﷺ فسألوه شططا  
متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ ما يهوى لنا ، فإذا أخذناه كسرناها وأسلمنا ، وحرّم وادينّا  
كما حرمت مكة حتى تعرف العرب فضلنا عليهم فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك  
فنزلت هذه الآية (٢) .

وقال السيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس قال : إن أمية بن خلف وأبا جهل بن  
هشام ورجالا من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : تعالى فاستلم آلهتنا وندخل معك  
في دينك وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه فراقه قومه ويحب إسلامهم فرّق لهم ،  
أنزل الله تعالى الآية (٣) .

وذكر السيوطي عند قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) ﴾ .

قال ابن عباس : إن قريشا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا فيكون أغنى

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص ١٠٣ ، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي ص ١٣٢ :  
أخرج هذه القصة ابن إسحاق بسند صحيح ، وأخرجها الطبراني في الكبير مختصرا وفيه الدعاء المذكور ،  
وقال الهيثمي ٦ / ٣٥ : « وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة وبقية رجاله ثقات » .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٢٩٩ .

(٣) الدر المنثور ٤ / ١٩٤ .

رجل بمكة ويزوجوه ما أراد من النساء فقالوا : هذه لك يا محمد وكف عن شتم آلهمتنا ولا تذكر آلهمتنا بسوء فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك واحدة ولك فيها صلاح قال : « ما هي ؟ » قالوا : تعبد آلهمتنا سنة ونعبد إلهك سنة . قال : « حتى أنظر بالتحقق من ربي » فجاءه الوحي من عند الله : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) ... ﴾ (١) .

وقال ابن إسحاق : ( وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال : حدثت أن عتبة بن ربيعة وكان سيذا قال يوما وهو جالس في نادى قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده : يا معشر قريش ، ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا ؟ وذلك حين أسلم حمزة ، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزدون ويكثرون ، فقالوا : بلى يا أبا الوليد . قم إليه فكلمه فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يابن أخى ، إنك منا حيث قد علمت ، من السطة في العشيرة - السطة : الشرف - والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهمتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها ، لعلك تقبل منها بعضها ، قال : فقال له رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع » . قال : يابن أخى ، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا ، حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تريد به شرفا سودناك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك ، وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا نراه ، لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا فنبيرتك منه ، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه . . . حتى إذا فرغ عتبة ، ورسول الله ﷺ يستمع منه ، قال رسول الله ﷺ : « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم .

قال : « فاسمع مني » . قال : أفعل .

فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حَمَّ (١) تَنْزِيلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ﴾ [ فصلت ] .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها يقرؤها عليه ، فلما سمعها منه عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره ، معتمدا عليها ، يسمع منه ، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى

السجدة منها فسجد ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذى ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائى أنى قد سمعت قولاً ، والله ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . يا معشر قريش ، أطيعونى واجعلوها بى ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد الناس به . قالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه ؛ قال : هذا رأى فيه فاصنعوا ما بدا لكم ... (١) .

وقال ابن إسحاق : ( اجتمع عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان ابن حرب ، والنضر بن الحارث - بن كلفة - أخو بنى عبد الدار ، وأبو البختري ابن هشام ، والأسود بن المطلب ، وزمعة بن الأسود ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، وعبد الله بن أبى أمية ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان ، وأمие ابن خلف ، أو من اجتمع منهم ، قال : اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ، ثم قال بعضهم لبعض : ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصّموه حتى تعذروا فيه ، فبعثوا إليه :

إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك ، فأتهم ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً ، وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء ، وكان عليهم حريصاً يحب رشدهم ، ويعز عليه عتتهم ، حتى جلس إليهم ، فقالوا له : يا محمد ، إنا قد بعثنا إليك لنكلمك ، وإنا والله ما نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك ، لقد شتمت الآباء ، وعبت الدين ، وشتمت الآلهة ، وسفّهت الأحلام ، وفرقت الجماعة ، فما بقى أمر قبيح إلا قد جئت ، فيما بيننا وبينك - أو كما قالوا له - فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك علينا ، وإن كنت تريد به

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٣ ، ٢٩٤ وقال الألبانى : هذه القصة أخرجها ابن إسحاق بسند حسن عن محمد ابن كعب القرظى مرسلًا ووصله ابن حميد وأبو يعلى واليغوى من طريق آخر من حديث جابر رضي الله عنه كما فى تفسير ابن كثير ٤ / ٩٠ ، ٩١ وسنده حسن إن شاء الله . فقه السيرة ص ١١٣ وهو مبسوط فى البداية ٣ / ٤٩ - ٥٢ .

ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذى يأتيك رثياً تراه قد غلب عليك - وكانوا يسمون التابع من الجن رثياً - فربما كان ذلك ، بذلنا لك أموالنا فى طلب الطب لك حتى نبرئك منه ، أو نعذر فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بى ما تقولون ، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك عليكم ، ولكن الله بعثنى إليكم رسولا ، وأنزل على كتابا ، وأمرنى أن أكون لكم بشيرا ونذيرا . فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت لكم ، فإن تقبلوا منى ما جئتكم به ، فهو حظكم فى الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بينى وبينكم » . أو كما قال رسول الله ﷺ .

ثم واصلوا ، فلما قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبى أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وهو ابن عمته ، فهو لعاتكة بنت عبد المطلب - فقال له : يا محمد ، عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ، ثم سألك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ، ثم سألك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ، ثم سألك أن تجعل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل - أو كما قال - فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ إلى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتينا ثم تأتى ، معك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله ، لو فعلت ذلك ما ظننت أنى أصدقك ، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاته عما كان يطمع به من قومه حين دعوه ، ولما رأى من مبادئهم إياه ( ١ ) .

#### نماذج من أذى المشركين للصحابه ﷺ :

وما أصابه عليه الصلاة والسلام أصاب أصحابه ﷺ ، وهم صفوة هذه الأمة ، وعدولها ، وخير البرية وقمتها ، لقد أصابها أقسى أنواع الأذى ، وأشدّه فصبوا فى الله ، وتحملوا حتى لقوا الله تعالى على ذلك ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٥ - ٢٩٨ وهى فى البداية والنهاية ٣ / ٥٠ ، ٥١ .

لكن سند ابن إسحاق فيه مجهول . قال : حدثنى بعض أهل العلم . وقد ذكر هذا المجهول ابن كثير فى البداية فقال : هو شيخ من أهل مصر يقال له : محمد بن أبى محمد إلا أن الحديث مؤيد بحديث عتبة السابق الذى حسنه الألبانى .

الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) ﴿ [ المطففين ] .

قال السيوطى فى الدر أخرج عبد بن حميد عن قتادة : ( ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) ﴾ قال : فى الدنيا ، ويقولون : والله إن هؤلاء لكذبة وما هم على شىء استهزاء بهم ) (١) .

قال ابن إسحاق : ثم إن الإسلام جعل يفسو بمكة فى قبائل قريش فى الرجال والنساء ، وقريش تحبس من قدرت على حبسه ، وتفتن من استطاعت فنتته من المسلمين (٢) .

وقال أيضاً : ( ثم إنهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله ﷺ من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر ) (٣) .

ونقل صاحب البداية عن ابن إسحاق قوله : ( ثم إن قريشا تذاَمروا بينهم على من فى القبائل من أصحاب رسول الله ﷺ ) (٤) .

وقال ابن إسحاق : ( وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش إذا سمع بالرجل قد أسلم له شرف ومنعه أنبه وأخزاه وقال : تركت دين أبيك وهو خير منك ، لنسفهن حلمك ، ولنفيهن رأيك ( أى نخطته ) ، ولنضعن شرفك ، وإن كان تاجرا قال : والله لنكسدن تجارتك ، ولنهلكن مالك ، وإن كان ضعيفا ضربه وأغرى به ... ) (٥) .

ومن أمثلة ذلك :

١ - ما رواه البخارى - رحمه الله - عن خباب بن الأرت يقول : أتيت النبى ﷺ وهو متوسد بردة وهو فى ظل الكعبة وقد لقينا من المشركين شدة فقلت : ألا تدعو الله

(١) الدر المنثور ٦ / ٣٢٨ .

(٢) ابن هشام ١ / ٢٩٤ .

(٣) المصدر السابق ١ / ٣١٧ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٣ / ٤٩ .

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٣٢٠ .



فقعد وهو محمر وجهه فقال : « لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه » الحديث (١) .

٢ - كما أخرج البخارى أيضا من حديث طويل فى قصة إسلام أبى ذر فقال : « يا معشر قريش، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله . فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ ، فقاموا فضربت لأموت فأدركنى العباس وأكب علىّ ثم أقبل عليهم فقال : أتقتلون رجلا من غفار . . . فلما أصبح الغداة رجعت فقلت مثل ما قلت بالأمس فقالوا : قوموا إلى هذا الصابئ فصنع بى مثل ما صنع بالأمس . . . » الحديث (٢) .

٣ - وأخرج أحمد فى مسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من حديث طويل : « . . . ثم قال : ألا أحدثكما عنه يعنى عمراً أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذا بيدي تمشى فى البطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون فقال أبو عمار : يا رسول الله ، الدهر هكذا ؟ فقال النبى ﷺ : « اصبر » ثم قال : « اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت » (٣) .

٤ - ومن قصة إسلام عمر أخرج البخارى عن ابن عمر عن أبيه قال : بينما هو فى الدار خائف إذ جاءه العاص بن وائل السهمى أبو عمرو . . . فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك أنهم سيقتلونى إن أسلمت . قال : لا سبيل إليك ، بعد أن قالها أمنتُ فخرج العاص فلقى الناس قد سال بهم الوادى . فقال : أين تريدون ؟ فقالوا : نريد هذا ابن الخطاب الذى صبا . قال : لا سبيل إليه فكر الناس . . . الحديث (٤) .

وقال ابن إسحاق : ( رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جذبوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر ) (٥) .

وقال : ( وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذامة بن جمع يخرج بلالا إذا حميت

(١) أخرجه البخارى ٥ / ٥٧ ، وهو فى الفتح ٧ / ١٦٤ ، ١٦٥ .

(٢) أخرجه البخارى ٦ / ١٤ ، ١٥ ، وهو فى الفتح ٧ / ٩٣ .

(٣) أخرجه أحمد فى مسنده بتحقيق شاكر ١ / ٣٤٩ ، وقال الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة ص ١٠٧ عقب هذا الحديث : وقال الحاكم ٣ / ٣٨٣ : « صحيح على شرط مسلم » ووافقه الذهبى .

(٤) أخرجه البخارى ٥ / ٦٠ ، وهو فى الفتح ٧ / ١٧٠ .

(٥) سيرة ابن هشام ١ / ٢٩٠ .

الشمس فيطرحة على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتبعد اللات والعزى . فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد أحد ( ١ ) .

وقال : ( وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه - وكانوا أهل بيت إسلام - إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ) .

هذه صورة من مرحلة ما قبل النصر ، أما ما بعد النصر فقد كان التشكيك من اليهود ، والتشيط من المنافقين ، والعصيان في أحد ، والغرور في حنين .

هذا الابتلاء كله وذاك الاختبار كله والفتنة المباركة صابرة وثابتة على دينها وسائرة على الطريق شعارها قوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [ الاحزاب ] .

هذه المشاهد وغيرها كثير وقعت لتلك الصفوة المباركة بقيادة رسول الله ﷺ على هذه الطريق - طريق الدعوة إلى الله - ثم تكررت هذه الأحداث على امتداد الألف والأربعمئة عام التي خلت من حياة الإسلام والمسلمين . . . كلما حاول الباطل أن يعتدى على الحق ويصدّه عن مواصلة رحلته في النفس البشرية والحياة البشرية . وبما أن العبرة قد حصلت مما سردنا من أمثلة وشواهد من ماضى هذه الأمة في صورة الرسول ﷺ وهو قمة هذه الأمة ، وصحابته رضي الله عنهم وهم صفوة البشرية .

وسيرهم على هذه الطريق على وعارثها وصبرهم على كل صعباتها ، وهم في تلك القمة يجعل سير الدعاة إلى الله من بعدهم على هذه الطريق من باب أولى ، وعليه فإننى سأنتقل من صدر تاريخ الأمة الإسلامية إلى العصر الحديث دون أن أعرج على شيء من مشاهد هذه الطريق في تلك الحقبة من الزمن على الرغم من أنها مفروشة بأشلاء الضحايا من دعاة الحق في كل بقعة من تلك الطريق .

وسأبدأ بنقل الشواهد الجديدة من زمن صحوة الأمة الإسلامية ، بعد ما أصابها من صدمات ونكسات هذه الصحوة التي ظهرت إشعاعاتها في العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجرى .

---

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٣١٨ .

لأن كل دعاة اليوم هم امتداد لها ، إما امتداد مباشر أو عن طريق الاطلاع على مبادئها من بعد .

ولأن مخططات القمع والإرهاب ومحاولة الاحتواء بكل متاع هذه الحياة موجهة إلى طلائع ذلك البعث الإسلامى من تلك الصحوة المباركة . وإلى أولئك الدعاة - أولئك الدعاة الذين سأحاول جهدى تذكيرهم ببعض ما حدث ويحدث لإخوانهم على هذه الطريق فى هذا العهد ليعتبروا بهم ويتأثروا لهم فى الوقت المناسب .

ومحاولة النجاة بهم مما يعد لهم ويرتب من قبل أعدائهم فى مستقبلهم ليحذروه ويحتاطوا له .

أولاً : التذكير ببعض ما حدث ويحدث :

أ - المشهد الأول على هذا الطريق من أرض تركستان وما جاورها من البلاد الإسلامية ، الجاثم على صدرها الحكم الشيوعى الغاشم ، وقع هذا المشهد على أرض تكبر مساحتها (١) إفريقيا ، وهى الأرض التى غطاها الإسلام بنوره ثم غمرها المد الشيوعى واغتصبها ، وقد ذهب (٢) ضحية ذلك المشهد ٢٦ مليوناً من المسلمين هناك تعذيباً وتقتيلاً . وشرد ومسح باقى الشعوب الإسلامية فى تلك البلاد بأشنع الأساليب وأبشعها .

ذكر الباتكين (٣) أن من وسائل المد الشيوعى لحمل المسلمين على الاعتراف بجرائم لم يرتكبوها ما يلى :

- ١ - إجبارهم على السير حفاة الأقدام على جمرات فحم مشتعلة .
- ٢ - غرس المسامير بين الأظفار .
- ٣ - سكب الزيت المغلى على الجسم .
- ٤ - سلخ جلد الجسم والرأس .
- ٥ - ترك المعذب واقفا على قدميه أياماً متوالية .
- ٦ - تعليقه فى جوال من الخيش مبلل على الأشجار فى أشد أيام الشتاء .

(١) انظر : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام لعبد الله التل ص ١١٠ .

(٢) طريق الدعوة فى ظلال القرآن ص ١١٢ لأحمد فايز .

(٣) فى كتابه قضية تركستان الشرقية ص ١٧١ باختصار .

- ٧ - إدخاله وهو عار فى ثلاجات مملوءة بالثلج فى أشد أيام الشتاء .
- ٨ - ضربه بسياط سلكية .
- ونقل صاحب طريق الدعوة تتمه ذلك بقوله :
- ١ - دق مسامير طويلة فى الرأس حتى تصل إلى المخ .
- ٢ - إحراق المسجون بعد صب البترول عليه وإشعال النار فيه .
- ٣ - جعل المسجونين هدفا لرصاصة الجنود يتمرنون عليه .
- ٤ - حبس المسجونين فى سجون لا ينفذ إليها هواء ولا نور وتجويعهم إلى أن يموتوا .
- ٥ - وضع خوذات معدنية على الرأس وإمرار التيار الكهربائى فيها .
- ٦ - ربط الرأس فى طرف آلة ميكانيكية وباقى الجسم فى ماكينة أخرى ، ثم تدار كل من الماكينتين فى اتجاهات مضادة ، فتعمل كل واحدة مقتربة من أختها حيناً ومبتعدة حيناً آخر ، حتى يتمدد الجزء من الجسم الذى بين الآلتين ، فلما أن يقر المعذب وإما أن يموت .
- ٧ - كى كل عضو من الجسم بقطعة من الحديد مسخنة إلى درجة الاحمرار .
- ٨ - صب زيت مغلى على جسم المعذب .
- ٩ - دق مسمار حديدى أو إبر الجراموفون فى الجسم .
- ١٠ - تسمير الأظفار بمسمار حديدى حتى يخرج من الجانب الآخر .
- ١١ - ربط المسجون على سرير ربطاً محكماً ثم تركه لأيام عديدة .
- ١٢ - إجبار المسجون على أن ينام عارياً فوق قطعة من الثلج أيام الشتاء .
- ١٣ - نتف كتل من شعر الرأس بعنف ، مما يسبب اقتلاع جزء من جلد الرأس .
- ١٤ - تمشيظ جسم المسجون بأمشاط حديدية حادة .
- ١٥ - صب المواد الحارقة والكاوية فى فم المسجونين وأنوفهم وعيونهم بعد ربطهم ربطاً محكماً .
- ١٦ - وضع صخرة على ظهر المسجون بعد أن توثق يده إلى ظهره .
- ١٧ - ربط يدى المسجون وتعليقه بهما إلى السقف وتركه ليلة كاملة أو أكثر .

- ١٨ - ضرب أجزاء الجسم بعضا فيها مسامير حادة .
- ١٩ - ضرب الجسم بالكرباج حتى يدميه ، ثم يقطع الجسم إلى قطع بالسيف أو بالسكين .
- ٢٠ - إحداث ثقب فى الجسم وإدخال جبل ذى عقد واستعماله بعد يومين كمنشار لتقطيع قطع من أطراف الجرح المتآكل .
- ٢١ - ولكى يضمنوا أن يظل المسجون واقفا على قدميه طويلا يلجأون إلى تسمير أذنيه فى الجدار .
- ٢٢ - وضع المسجون فى برميل مملوء بالماء فى فصل الشتاء .
- ٢٣ - خياطة أصابع اليدين والرجلين وشبك بعضهما إلى بعض .
- ٢٤ - والنساء حظهن من مثل هذا العذاب أنهن يعرين ويضربن ضربا مبرحا على نديهن وصدورهن .
- أما بقية تعذيب النساء فإننا نمسك عنه ؛ لأن المواقع التى اختاروها من أجسامهن والطرق الدنيئة التى استعملوها تجعلنا نستحى من ذكرها وكتابتها (١) .
- هذا مشهد من مشاهد طريق الدعوة إلى الله لا يكاد يتصوره عقل ، لهول عدد ضحاياها ، وشناعة أساليب التنكيل فيه ، ولكنه حقيقة وقعت أحداثها على أرض تركستان الحبيبة وأكدها (٢) أكثر من مصدر موثوق .
- ب - ومن تركستان إلى الهند لنقل المشهد الثانى من مشاهد هذه الطريق ، وأترك الأستاذ سيد قطب يروى لنا قصة ذلك المشهد كما نقله عنه صاحب طريق الدعوة .
- والواقع التاريخى الحديث يعطينا هذه الصورة . إن ما وقع من الوثنيين الهنود ، عند انفصال باكستان لا يقل شناعة ولا بشاعة عما وقع من التار فى بغداد . إن ثمانية ملايين من المهاجرين المسلمين من الهند - ممن أفزعته الهجمات البربرية المتوحشة على المسلمين الباقين فى الهند فأثروا الهجرة على البقاء - قد وصل منهم إلى أطراف باكستان ثلاثة ملايين فقط ، أما الملايين الخمسة الباقية فقد قضوا فى الطريق بعدما طلعت عليهم العصابات الوثنية المنظمة المعروفة للدولة الهندية جيدا ، والتى يهيمن عليها ناس من

(١) طريق الدعوة لأحمد فايز ص ١١٤ .

(٢) انظر : مجلة البلاغ العدد ١١٧ ، وكتاب تركستان من سلسلة مؤلفات محمود شاعر عن البلاد الإسلامية .

الكبار فى الحكومة الهندية ، فذبحتهم كالخراف على طول الطريق وتركت جثثهم نهبا للطير والوحش ، بعد التمثيل بها ببشاعة منكرا لا تقل - إن لم تزد - على ما صنعه التار بالمسلمين من أهل بغداد .

أما المأساة البشعة المروعة المنظمة فكانت فى ركاب القطار الذى نقل الموظفين المسلمين فى دوائر الهند إلى باكستان ، حيث تم الاتفاق على هجرة من يريد الهجرة من الموظفين المسلمين فى دوائر الهند إلى باكستان ، واجتمع فى هذا القطار خمسون ألف موظف . . ودخل القطار بالخمسين ألف موظف فى نفق بين الحدود الهندية الباكستانية يسمى ( ممر خير ) وخرج من الناحية الأخرى وليس به إلا أشلاء ممزقة متناثرة فى القطار . . لقد أوقفت العصابات الهندية الوثنية المدربة المواجهة للقطار فى النفق ولم تسمح له بالمشى فى طريقه إلا بعد أن تحول الخمسون ألف موظف إلى أشلاء ودماء وصدق الله سبحانه : ﴿ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ﴾ [التوبة : ٨] .

وما تزال هذه المذابح تتكرر فى صور شتى حتى الآن .

كذلك قامت العصابات الهندية بإبادة المسلمين إبادة تامة فى ولايات ( بهارات بور ) و ( الوار ) و ( كابور تالا ) وكان عددهم فى هذه الولايات على التوالى : ١١٠ آلاف ، و ٢٥٠ ألفا ، و ٢١٣ ألفا و ٧٠٤ ، فلم يعد أحد منهم يرى النور . ولقد بلغ قتلى المسلمين خلال المذابح التى جرت فى شرقى البنجاب فى شهر أغسطس سنة ١٩٤٧م وفقا لتعداد رسمى ٤٧٢ ألف نفس . . ثم ماذا فعل خلفاء التار فى الصين الشيوعية وروسيا الشيوعية بالمسلمين هناك ؟ لقد أبادوا من المسلمين فى خلال ربع قرن ستة وعشرين مليونا . . بمعدل مليون فى السنة ، وما تزال عمليات الإبادة ماضية فى الطريق . . وذلك غير وسائل التعذيب الجهنمية التى تقشعر لها الابدان (١) .

ونحن بحكم بعدنا عن هذه الأحداث وعدم ملامتنا لها ، قد يساورنا شك فى صحتها ، أو أنها مبالغ فيها ، والحقيقة أن الأرقام المذكورة لضحايا هذا المشهد قد لا تكون قد استقصت كل الأشلاء التى ترامت فى كل مكان من ذلك المشهد ، حيث إن المحصى قليلا ما يدقق فى مثل هذه الحالات الحرجة ، وحيث إن كثيرا من الضحايا وقعت بعيدا عن أعين الناس .

فالذى أريد تأكيده أن أرقام الضحايا أكثر بكثير مما ذكر ، خاصة أن أجهزة الإعلام

---

(١) من طريق الدعوة فى ظلال القرآن ، ص ١١١ ، ١١٢ .

وهي المعتمدة فى نقل أحداث العالم بيد الكفر ، وتنشر ما تريد وتخفى ما لا تريد نشره ، وعلى الرغم من ذلك فإن أخبار (١) تلك الوحشية فى معاملة المسلمين فى الهند تتسرب إلينا بين حين وآخر ، وفيها ما يدمى القلب ويحرق الفؤاد لما يصيب المسلمين هناك ولا حول ولا قوة إلا بالله .

ج - من المشهد الثانى على أرض الهند إلى مشاهد متعددة حدثت فى أماكن مختلفة فى العالم الإسلامى ، مستهدفة عناصر البعث الإسلامى من الأمة الإسلامية ، وموجهة من قوى عالمية ذات طابع كفرى واحد ، تلك القوى هى : أمريكا ، وروسيا ، وبريطانيا ، وفرنسا (٢) ، قررت ذلك فى اجتماع لسفرائها فى القاهرة عام ١٩٥٤ م .

وقد كان لها ذلك بواسطة أذئابها فى البلاد الإسلامية ، كان لتلك القوى ما أرادت . فضربت الحركة الإسلامية فى إندونيسيا وفى مقدمتها حزب ماشومى ، وقتل أكثر رجالها وشرذ الباقون .

وضربت الجماعة الإسلامية فى القارة الهندية وحكم على مؤسسها الأستاذ أبو الأعلى المودودى بالإعدام (٣) .

وضربت جماعة الإخوان المسلمين فى البلاد العربية ، وقتل قادتها وسجن وشرذ الباقي ، وصودرت أموالها وممتلكاتها (٤) .

---

(١) انظر الأعداد التالية من مجلة المجتمع الكويتية : ١٢٧ ، ١٩٣ ، ٢٦٢ ، ٤٢٨ ، ٤٥١ . ومجلة الاعتصام المصرية العدد التاسع .

(٢) ذكر ذلك الشيخ سعيد حوى فى محاضرة له عن سيد قطب فى طيبة الثانوية بالمدينة المنورة . وذكر ذلك الأستاذ جابر رزق فى كتابه .

(٣) انظر كتاب تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند صفحة ٢٢٥ - ٢٩٣ ( مسعود عالم الندوى ) . وانظر :  
- الجماعة الإسلامية بالهند .

- الجماعة الإسلامية فى باكستان .

- الجماعة الإسلامية فى سطور . وهى رسائل صدرت عن الجماعة فى الهند .

(٤) انظر المصادر التالية لتقف على أنواع التعذيب والقتل والتشريد الذى أصاب هذه الجماعة :

- مؤامرة ضد الإسلام فى مصر . رسالة صدرت عن الجماعة .

- العالم الربانى . عشناوى أحمد سليمان .

- نافذة على الجحيم .

- حسن البنا مواقف فى الدعوة . عباس السيسى .

- وثيقة خطيرة .

- الأسرار الحقيقية فى اغتيال حسن البنا . جابر رزق .

- القابضون على الجمر . محمد أنور رياض .

وضرب حزب فداثيان (١) إسلام فى إيران وحكم بالقتل على كل أفرادہ .  
كل هذه الإبادة لعناصر البعث الإسلامى كانت فى أيام معدودة (٢) ومتقاربة ، ثم  
واصلت تلك القوى ضرب العناصر الإسلامية (٣) والأمة الإسلامية .  
ففى يوم واحد أبيدت جزيرة أبا فى السودان بكل سكانها (٤) .  
وفى يوم واحد قتل فى جزيرة زنجبار أكثر من خمسة عشر ألف مسلم ، وفى  
القليل قتل (٥) أكثر من ثمانين ألف مسلم وحرقت مدنهم وقراهم ، وفى أوغندا (٦)  
دخلت تلك القوى سافرة فى حرب مباشرة مع المسلمين قتل على إثرها جل الشعب  
المسلم هناك وشرد من أرضه ووطنه ، وفى لبنان (٧) مر ويمر المسلمون بمحنة قاتلة فى  
الحرب الأهلية الأخيرة ، وفى تشاد (٨) تدور حرب أهلية طاحنة هدفها الرئيس إبادة  
المسلمين .

وفى المغرب (٩) تطارد العناصر الإسلامية . وما جرى فى أفغانستان (١٠) من تقتيل

= - فى الزنزاة . د . على جريشة .

- لماذا أعدم سيد قطب ؟

- مجلة المجتمع الكويتية العدد ٢٦٥ .

- الإخوان المسلمون كبرى الحركات الإسلامية . د . إسحاق الحسينى .

- الشيخ حسن البنا ومدرسة الإخوان المسلمين . رؤوف شلى .

- الإسلام والداعية . الهضبي .

- هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه . محمد الوكيل .

- المقاومة السرية فى القناة : كامل الشريف .

- أيديولوجية الإخوان المسلمين . ريتشارد ميتشيل .

- قضيتنا . فهمى أبو غدير .

- مجلة الدعوة المصرية أعداد ٧ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٠ .

(١) الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ص ١٤٤ - ١٧١ .

(٢) نفذ كل هذا ما بين سنة ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ م .

(٣) انظر : الأفعى اليهودية فى معاقل الإسلام ص ١٨٧ - ١٩٩ .

(٤) المجتمع الكويتية العدد ٤٨٤ .

(٥) مجلة المجتمع الكويتية الأعداد التالية : ١٠٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٩ ، ٤٦٢ ، والأمان اللبنانية العدد ٧ .

(٦) الأفعى اليهودية ص ١٨٧ ، والاعتصام المصرية عدد ١٠ .

(٧) انظر : المجتمع الكويتية العددان : ٢٨٧ ، ٢٩٤ .

(٨) الأفعى اليهودية ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(٩) المجتمع الكويتية العددان : ٤٦١ ، ٤٨٥ .

(١٠) انظر : المجتمع الكويتية الأعداد الآتية : ٤٥٧ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٧ ، ومجلة

الإصلاح القطرية العدد ١٨ ، ومجلة الدعوة المصرية العدد ٤٨ .



للشعب الأفغانى بمخلب الدب الروسى أكبر دليل على ذلك .

لقد سلط ذلك الأخطبوط الرباعى (١) أضواءه على عناصر الدعوة الإسلامية والبعث الإسلامى فى كل مكان فأنشبت مخالبه فى ذلك البعث الهادر .

ولكن ذلك التسلط الشامل وذلك السحق الوحشى لم يزد تلك الطلائع إلا تمسكا بتعاليم دينها ونشرها وتضحية فى سبيلها ، ولم يزد لها إلا عنادا للباطل وخروجاً عليه .  
عبر عن ذلك شاعرهم فى قصيدته المشهورة : من وراء القضبان (٢) .

(١) الذى هو أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا .

(٢) والتى نصها :

|                          |                           |
|--------------------------|---------------------------|
| أخى أنت حر وراء السدود   | إذا كنت بالله مستعصما     |
| فماذا يضيرك كيد العبيد   | أخى ستبید جیوش الظلام     |
| ويشرق فى الكون فجر جديد  | فأطلق لروحك أشواقها       |
| ترى الفجر يرمقنا من بعيد | أخى قد أصابك سهم ذليل     |
| وغدرا رماك ذراع كليل     | ستبتر يوما .. فصبّر جميل  |
| ولم يرم بعد عريسن الأسود | أخى قد مرت من يدك الدماء  |
| أبت أن تشد بقيد الإماء   | سترفع قربانها للماء       |
| مخضبة بوسام الخلود       | أخى هل تشارك ستمت الكفاح  |
| والقيت عن كاهليك السلاح  | فمن للضحايا يواسى الجراح  |
| ويرفع راياتها من جديد    | أخى هل سمعت أنين التراب   |
| تذك حصاء جنود الخراب     | تمزق أحشاءها بالخراب      |
| وتصفعه وهو صلب عنيد      | أخى إننى اليوم صعب المراس |
| أذك صخور الجبال الرواسى  | غدا سأتج بفس الخلاص       |
| رؤوس الأفاعى إلى أن تبيد | أخى إن ذرفت على الدموع    |
| وبللت قبرى بها فى خشوع   | فأوقد لهم من رفاتى الشموع |
| وسيروا بها نحو مجد تليد  | أخى إن نمت نلقى أحبابنا   |
| فروضات ربى أعدت لنا      | وأطيارها رفرفت حولنا      |
| قطوبى لنا فى ديار الخلود | أخى إننى ما ستمت الكفاح   |
| ولا أنا ألقى عنى السلاح  | وإن طوقتنى جیوش الظلام    |
| فإنى على ثقة بالصباح     |                           |

=

وأجابة آخر مؤكدا مواصلة السير على الطريق (١) مهما كانت العقبات والصعاب .

وإني على ثقة من طريقى  
وإن عافنى السَّوق أو عقتى  
فإن أنا مت فإنى شهيد  
أخى أخذوك على إثرنا  
قد اختارنا الله فى دعوته  
فمنا الذين قضوا نحبهم  
أخى فامض .. لا تلتفت للوراء  
ولا تلتفت ههنا أو هناك  
ولسنا بطير مهبط الجناح  
وإنى لأسمع صوت الدماء  
سأثار ولكن .. لرب ودين  
فإما إلى النصر فوق الأنام  
إلى الله رب السنا والشروق  
فإنى أمين لعهدى الوثيق  
وأنت ستمضى بنصر مجيد  
وفوج على إثر فوج جديد  
وإنا ستمضى على سنته  
ومنا الحفيظ على دعوته  
طريقك قد خضبت الدماء  
ولا تتطلع لغير السماء  
ولن نستذل ولن نستباح  
قويا ينادى .. الكفاح الكفاح  
وامضى على سنتى فى يقين  
وإما إلى الله فى الخالدين  
« المرحوم سيد قطب إبراهيم »

انظر : كتاب لماذا أعدم سيد قطب تجرد القصيدة فيه .

(١) وأجابه شاعر الموصل بقصيدة إليك نصها :

أخى سوف تبكى عليك العيون  
فإن جف دمعى سيكى الغمام  
أخى إن قضيت ستحيى بنا  
فتمرح مهما احتوتك القيود  
أخى عند ذكرك تجرى الدموع  
وتسجد فى سيرها للإله  
أخى أنت مصباح هذى الحياة  
فأشعل لها فى الظلام الظلوم  
أخى قد مضى سنة بالمثل  
فإن ذقت أنت صنوف العذاب  
أخى ما لنا لسكوت سبيل  
وتسأل عنك دموع المئين  
يرصع قبرك بالياسمين  
كان لم يمر عليك الفنا  
وتنعم بالحلب ما بيننا  
لترباً صدع الفؤاد الهلوع  
وتذكركم عنده فى الركوع  
تموت لتبعد عنها الممات  
منار الشعوب ونار الطغاة  
فكان شهيدا وكان بطل  
فإنك فى دربهم لم تنزل  
فلا يوهمنك صمت طويل

## ثانيا : خطط الكفر المستقبلية :

بعد أن أوجزت فى مشاهد المحن التى مرت بالمسلمين فى عهدهم القريب ولا تزال ، أوجز أيضا فى المخططات المستقبلية لقوى الشر فى حرب الأمة الإسلامية وسحق طلائع البعث الإسلامى ، فعلى الرغم من وضوح الهدف عن تلك القوى الكافرة وهو تشتيت الأمة الإسلامية وإخماد كل صوت ينادى بوحدتها ورفع رايها . وعلى الرغم من أن الوسائل المستعملة للوصول إلى ذلك الهدف الرهيب واضحة لهم أيضا من قديم الزمان ومتشابهة ومتواصى بها كافرا عن كافر .

قال تعالى : ﴿ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ (١١٨) [ البقرة ] ، ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (٥٣) [ الذاريات ] .

|                            |   |                            |
|----------------------------|---|----------------------------|
| فحقك يشد فى كل سمع         | = | سنثار يوما فصبر جميل       |
| أخى ستثير الدماء الظلام    |   | وتزرعه رحمة وسلام          |
| فيا سحب غطى شعاع الهلال    |   | سيشرق بعدك بدر التمام      |
| أخى إننا ما أسانا الظنون   |   | بروح قوى وجسم طعين         |
| فماذا تروم لديك الخطوب     |   | وماذا يضيرك كيد السنين     |
| أخى ما يريدون من مؤمن      |   | له قبره أفضل المسكن        |
| هلمى أيا حادثات الزمان     |   | فلن تجدى فيه من موهن       |
| أخى لن تنام ونمى السهاد    |   | أخى منحرك قلب الجماد       |
| أخى إن إيماننا لكفيل       |   | يهز الرواسى ومحق الفساد    |
| أخى ما يشنا .. ولن نياما   |   | وما طال فى القلب لبث الأسى |
| وما حل أفئدة المؤمنين      |   | سوى أمل فى الجنان رسا      |
| أخى لست وحدك فى الامتحان   |   | فكن رابط الجأش صلب الجنان  |
| ستصرخ بالظلم كل الشفاء     |   | ويهزأ بالموت كل لسان       |
| أخى أنت فى النار فى المرجل |   | ونحن على بعدها نصطلى       |
| فكن مشعلا خالدا لا يزول    |   | فتحن الوقود لذا المشعل     |
| أخى فانتظر ولتتش فى غد     |   | سينشق الأمل السرمدى        |
| فإن فرقتنا سنى الحياة ..   |   | فإننا مع النصر فى موعد     |

وإننا مع الله فى موعد

على الرغم من وضوح ذلك كله إلا أن للتجارب والملاحظات دورا كبيرا فى المزيد من الحُبث والمكر فى المؤامرات على الأمة الإسلامية .

فى العقدين الماضيين نزلت الاستخبارات الأمريكية <sup>(١)</sup> البريطانية بصفوة رجالها إلى الشرق الإسلامى للإشراف المباشر على خطط السحق والتدمير لقوة الأمة الإسلامية ، فى صورة طلائعها المباركة وهى الخطط التى ظهرت أخيرا فى صورة كتب ووثائق منشورة بعد أن أعطت ثمارها . منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب لعبة الأمم لمايلز كوبلاند وهو الكتاب الذى كان مؤلفه <sup>(٢)</sup> على رأس اللجنة الموجودة للجهاز التنفيذى للخطّة - وهى الانقلابات العسكرية - وهو الجهاز الذى استطاع ضرب الحركة الإسلامية وعرقلة سيرها لفترة من الزمن دون أن ينتصر عليها ، حيث إنه ذهب ملعوناً من الله وملائكته والناس أجمعين وبقيت الأمة الإسلامية بقيادة طلائعها المباركة كأقوى ما تكون وأعظم ما تكون .

وكما أن تلك القوى الكافرة قد فشلت فى مواجهة الحركة الإسلامية بالجهاز المشار إليه فإنها ستفشل مهما جاءت ببدائل لذلك الجهاز الفاشل ؛ لأن كيدهما مهما يكن فهو كيد بشر هزيل وكيد شيطانى ضعيف ، قال تعالى : ﴿ فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (٧٦) [ النساء ] أمام حفظ إلهى للإسلام ودفاع ربانى عن المؤمنين الصادقين .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) [ الحجر ] ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٨) [ الحج ] .

ومنها الوثيقة الخطيرة التى وضعت لإبادة الحركة الإسلامية فى مصر وهى الوثيقة التى نفذت بموجبها محنة الإخوان المسلمين فى مصر فى العقد السابع من القرن العشرين الميلادى باعتراف واضعها <sup>(٣)</sup> ومنفذيها وكما جاء مفصلاً فى المصادر التى أشرنا إليها فى محنة الجماعة المذكورة ، وهى الوثيقة المرفقة بملحقات هذه الرسالة لأهميتها <sup>(٤)</sup> .

وبما أن تلك الخطط قد كشفها الله تعالى ، فقد فكرت أجهزة الكفر فى إيجاد خطط

(١) انظر : السياسة الأمريكية والثورة المصرية لمايلز كوبلاند ص ٩ باختصار .

(٢) انظر : الكتاب نفسه ص ٩ .

(٣) انظر : دفاع د . عبد الله رشوان عن شكرى مصطفى ، حيث ذكر الوثيقة المشار إليها وبين أسماء الذين وضعوها ونفذوها واعترافاتهم بذلك .

(٤) انظر : الملحق رقم (١) والمنقول عن مجلة الأمان اللبنانية عدد ١٣ وتاريخ ٢٠ جمادى الأولى من سنة ١٣٩٩ هـ .

جديدة أشد مكرًا وخبثًا لضرب التيار الإسلامى القادم الذى يهدد الكفر فى كل أرجاء الأرض فمن هذه الخطط :

١ - التقرير المرفوع إلى بعض المسؤولين<sup>(١)</sup> فى البلاد العربية لمكافحة التيار الدينى فى بلده والعالم الإسلامى ، وهو التقرير الذى تعاونت على إعداده صفوة رجال الاستخبارات الأمريكية والإسرائيلية وبعض استخبارات الدول العربية .

٢ - التقرير المرفوع من ريتشارد ب ميتشيل<sup>(٢)</sup> إلى رئيس هيئة الاستخبارات المركزية الأمريكية، وهو التقرير الذى ينصح فيه بالكيفية الجديدة لضرب الحركة الإسلامية والأمة الإسلامية ، وهما التقريران اللذان سيكونان من الملحقات الوثائقية لهذه الرسالة لاحتوائهما على البنود التى ستتبع مستقبلاً فى ضرب الإسلام والمسلمين .

والذى يجب على قيادات العمل الإسلامى والدعاة الإسلاميين فى كل مكان إحباطها بكشفها للمسلمين وأخذ كل الاحتياطات اللازمة لتجنب الأمة الإسلامية خطرهما ومكايدها . وأخذها بعين الاعتبار فى خطط العمل الإسلامى الآمنية .

وليكن الدعاة الإسلاميون أكبر من قوى الكفر تنظيمًا وتخطيطًا وتنفيذًا ولا يصح أبداً أن يلدغوا من جحر مرتين ، أى إذا استطاعت قوى الكفر بخططها الماضية النيل من العمل الإسلامى والأمة الإسلامية . فلا يصح بحال من الأحوال أن تعطى فرصة ثانية لضرب الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامى والله تعالى ولى المؤمنين .

#### خلاصة هذا الموضوع :

وخلاصة موضوع طبيعة طريق الدعوة إلى الله . أنها طبيعة شاقة على النفس البشرية ولكن لا بد منها للوصول بالعمل الإسلامى إلى غايته .

ولقد تذوق هذه الطبيعة كل الذين ساروا على طريق الدعوة إلى الله من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم حيث هى الطريق الوحيد إلى الجنة .

وأن هذه الطبيعة ذات ألوان كثيرة قد تكون فى صورة غياهب سجون وأدوات تعذيب رهينة وأعمدة مشانق . وقد تكون فى صورة بسط متاع ورغد عيش ، وقد تكون فى صورة غرور ينسى صاحبه الله تعالى واليوم الآخر .

وإن لهذه الطبيعة هدفاً هو معرفة الصالح من الطالح ، ونفى الخبيث عن الطيب ،

(١) هو حاكم مصر أنور السادات . انظر : نص التقرير فى الملحق رقم (٢) .

(٢) انظر : التقرير فى الملحق رقم (٣) والمنقول عن مجلة المجتمع الكويتية عدد ٤٢٨ وتاريخ ١٧/٢/١٣٩٩ هـ .

وتصفية الصف من أسباب الخبال ، وإبعاد اللبنة الهشة من البناء .

هذه هي خلاصة موضوع طبيعة الطريق إلى الله ، على الدعاة أن يتدبروها ويقفوا عندها طويلا ، وألا يدخلوا من استجاب لدعوتهم في هذه الطريق إلا بعد أن يبصروهم بطبيعتها ويدربوهم على نماذج منها ، حتى لا يسقطوا في أثناء الطريق فيخسرون جميعا .  
والله ولي التوفيق وهو المستعان .